

شرح المقدمة لأبي

شرح الإمام المسزوقي
على ويوان الحماسة لأبي تمام

الأستاذ الأكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور



دار العربية للكتاب



شرح المقدمة لابن

شرح الإمام المزدوقي
على ديوان الحماسة لأبي تمام

الأستاذ الأكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاصور



الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس



الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة - الدار العربية للكتاب

ليبيا - تونس ١٣٩٨/١٩٧٨

سُجَّ المَقْدَمَةُ الأَدبِيَّةُ



مدونتنا لسائر العرب

رفع: علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مُقَدِّمَةٌ

ان المقدمة التي دمجها الامام المرزوقي ^(١) لشرحها على ديوان الحماسة اختيار ابي تمام . تعتبر خير رائد لمنتهج روض الفصاحة . وابصر مقدمة لجحفل البلاغة . تفتح لمقنفيها ما استعصت به خفايا النكت من الصياصي . وتمكن بيد متقنها من جياذ سبق اجوس النواصي . اذ كانت احاطت بمعاقد الادب . وتعاطت بمحجتها افنانه فتدلى يانع ثمره واقترب . وقد كنت اهتمت بتدبرها فقدرت قدرها . وتبينت نفاستها في صناعة الادب وخطرها . ثم طواها الذهن ببسط مسائل اخرى . وثنى عنان طرفه فأطلق له في ميادين فسيحة وأجرى . وكانت غير متداولة بأيدي الادبا . وكان الشرح

(١) هو احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصبهاني توفي في ذي الحجة سنة ٤٢١ هـ ترجمه ياقوت في ارشاد الارب وقال انه اخذ عن ابي علي الفارسي وذكر له كتباً منها شرح الحماسة قال وهو يتفاح في تصانيفه كابن جني وكان معلم اولاد بني بويه بأصبهان وقالت لم اقف على وجه نسبة المرزوقي .

كله قد ازوى في الخزان واختبا . فلما نشر الشرح مكللاً بجواهرها .
وآن ان يتشوقوا للاستجلاء مخايرها . هز ذلك من عظمي وحرك
سواكني الى مراجعة عهد مصى . فأصدق عزماً قديماً وعرضاً هو
العزم على ان اعلق على هذه المقدمة القيمة . واسرح اليها جواد
الذهن واسومه .

فانها جديرة بشرح مطاويها الوفيرة الاغراض . ويصدق
شيم من اتبع صوب بروقها المتكررة الايماض . اذ هي مسن قبيل
اللمحة الدالة . والخريفة الملتصفة غير المتجالة . نهي خليفة بفسر كثير
من معانيها اذ كانت مفرغة في دقة صياغة . ولو اخذت على غرها لم
يدرك غورها سوى الراسخين في البلاغة . فعنيت بتوضيح دقائقها
واكتفيت في بعض المواضع بالحوالة على كتب الادب . واني حين
حلت بالاستانة في اواخر عام ١٣٧٠ ، ورأيت خزائن كتبها الثرية ،
كان مما لفت نظري نسخة تامة من شرح المرزوقي من مكتبه كوبرولي
باشا تحت عدد ١٣٠٨ وهي نسخة عتيقة نسخت سنة ٦٧٦ بها
ورقات ٤٢٠ في القالب الربعي . وقد حصلت منها على شريط
فتقرا في . ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزء اول
منه ، وهو تجزئة خمسة ، حوتها مكتبة الجامع الاعظم عدد ٤٥٣٤
وعدد ٤٥٣٥ .

شرح المقدمة

قال الامام المرزقي :

(وبعد فانك جاريتني اطال الله بقاءك في اشمل سعادة واكمل سلامة لما وجدني اقصر ما استفضله من وقتي واستخلصه من وكدي علي عمل شرح الاختيار المنسوب الي ابي تمام حبيب ابن اوس الطائي المعروف بكتاب الحماسة - أمر الشعر وفنونه -

الخطاب لمن سألته تحقيق ما تضمنته هذه المقدمة و يظهر أن هدا المخاطب هو ايضاً قد سألته شرح اختيار ابي تمام، او انه حرصه علي اتمامه لأن المؤلف في خاتمة الشرح^(١) قد سهل الله وله الحمد تعلي جده بلوغ المنتظر من تميم شرح هذا الاختيار والله بمنه وطوله ينفعك وايانا به ويعينك على تفهمه الخ . وفيما حكاه المرزوقي عن هذا المخاطب من السؤال ما يدل على انه من الممارسين للأدب الواقفين على جواده ولكنه لم يبلغ مبلغ ائمة علم الأدب والنقد فلذلك أوى الى المرزوقي في كشف حقائقها اذ كان المرزوقي يلقب بالامام .

وقوله جاريتني هكذا ثبت في جميع النسخ ومعناه حادثني فيه قال في لسان العرب وجاراه الحديث وتجاروا فيه اه ، فاستعيرت

(١) عن نسخة الاستانة

المجاعة تمثيلاً لحال المتحدّثين بحال الفارسيين يجريان . ومن هذا القبيل قولهم تساجلا الشعر وتسايرا المجادلة ، وقد أعاد المؤلف هذا اللفظ في خاتمة الشرح اذ قال «فاني لم ادركه إلا بمجاعة لشيوخ الصنائة فيه » .

وقول المؤلف (اقصر) بهيرة مفتوحة وقاف وبضم الصاد اي ارد واحبس يتعلق به قوله (على عمل شرح) و (الوكد) بفتح الواو وسكون الكاف هو الهم والقصد وقوله (امر الشعر) كذلك ثبت في اكثر النسخ وفي نسخة ذكرها الناشر في امر الشعر وهي الاولى وعلى ما في معظم بقية النسخ يكون امر الشعر منصوباً على نزع الخافض . (وابو تمام) من شعراء الدولة العباسية في خلافة المعتصم والمتوكل امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثيرها ولو اداد ذلك الى شيء من الخفاء في استفادتها من اللفظ، واخذ عنه البحثري . وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣١ وقيل سنة ٢٣٢ وديوانه مشهور . وجمع ديوانه الحماسة وهو واضح الشهرة في الادب العربي اشتمل على عشرة أبواب من فنون الشعر اولها باب الحماسة وهو الذي دعي به، جمع فيه قطعاً للشعراء غير المشهورين . وله اختيار ترجمة بالقبائلي . اختار فيه قطعاً من محاسن اشعار القبائلي وله الاختيار القبائلي الاكبر اختار منه من كل قصيدة وله اختيار الشعراء الفحول

واختيار على طريقة ديوان الحماسة صدره باب الغزل .

قال المؤلف (وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها في
اوائل ايام الدولتين واواخرهما من الرفعة به) ترتيب هذه الفقرات
في أكثر النسخ كما رأيت هنا وفي نسخة واحدة من النسختين بتونس مغايرة
لهذا اذ وقعت فقرة من الرفعة - به - عقب فقرة - وما نال الشعراء - وذلك
احسن مما في النسخ الاخرى ووقع قوله - وفي اوائل - في احدى
نسختي تونس مجرداً عن واو العطف وهو احسن اذ يكون قوله
اوائل الدولتين بدلا من قوله وما بعدها اي بعد الجاهلية فيكون
عصر النبوة وعصر الخلفاء الأربعة غير داخل . وأما النسخ التي فيها
إثبات الواو فهي تقنضي ان يكون المراد بما بعد الجاهلية مدة زمن
صدر الاسلام وليس للشعراء في صدر الاسلام رفعة بل كانت
الشعراء قد هجروا الشعر مثل لبيد ابن ربيعة العامري إلا ان يكون
المقصود الشعراء الذين ذبحوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة .

وقوله - واواخرها - وقع في إحدى النسختين التونسية
واواخرها بالثنائية والمراد واخر مجموعها اي اواخر الثانية منها
(اذ كان الله قد اقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الامم) .
أراد بالكتب كتب العلوم والتاريخ لان العرب امة امية

امتازت بالفطنة في السجية فكان شعرها ترجمان ذكماًها وديوان آرائها (فهو مستودع ادبها ومستحفظ انسابها ونظام فخارها يوم النفار) النفار بكسر النون مصدر نافر غيره اذا خاصمه في الشرف والفخر فتحا كما في ذلك الى حكم (وديوان حجاجها عند الخصاص ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه وعمما يتميز به النظم عن التثروما يحمدا او يندم من الغلوفيه او القصد من قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها) وفي احدى نسختي تونس - لها وعليها - وهما اظهر (حتى نصير جوائنبا محفوظه من الوهن واركانها محروسة من الوهي اذ كان لا يحكم للشاعر او عليه بالاساءة او بالاحسان الا بالفحص عنها وتأمل مأخذها مناهدي شأوه فيها) المدى الغاية. والنار السبق اي منتهى ما سبق فيه شاعر غيره من الشعراء.

(وتمييز المصنوع مما يحوكة من المطبوع والاتي المستسهل من الابي المستكر).

سيأتي للمؤلف ذكر المصنوع والمطبوع بعد ذكر الابواب السبعة التي هي عمود الشعر ونشرحه هنالك. والاتي ما يطلبه الساقى الى ارضه من السيل او النهر بان يخفر له حفيراً يجري فيه الماء قال النابغة يذكر جارية ضربت في الارض حفيراً بالمسحاة نصرف الماء عن بيت اهلها.

خلت سبيل أتي كان يحبسه ورفعته الى السجينين فانضد

والمؤلف اراد بالاتي السهل استعار اليه لفظ الاتي مشابهته في انه
يأتي بدون معالجة ولذلك اتبعه بوصف المستسهل وصفاً كاشفاً وقد
اتبعه فيما يأتي بوصف السمع .

والابي فعيل من امثلة المبالغة واصله الرجل المتعاصي غير
الطواع وقد استعاره المؤلف للكلام الذي يبدو عليه السكف ولذلك
اتبعه بوصف المستنكر والمذكور واتبعه فيما يأتي بوصف الصعب .
وقضيت العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على انه لم
يتفق في اختيار المقطوعات انقى مما جمعه ولا في اختيار المقصدا
اوفر مما دونه المفضل ونقده . وقلت ان ابا تمام معروف المذهب
فيا يقرضه مألوف المسلك فيما ينظمه نازع في الابداع الى كل
غاية حائل في الاستعارات كل مشقة متوصل الي توفير اللفظ وتعميض
من الصنعة ابن اعتسف وبماذا عثر متغلغل الى توفير اللفظ وتعميض
المعنى انى أتتى له وقدر وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع
عن سلوك معاطب ميدانه ومرتض ما لم يكن بما يجموعه في امره
وشأنه فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الاسلوب الاليسير
ومعلوم ان طبع كل امرىء اذا ملك زمام الاختيار يجذبه الى
ما يستلذه ويهووا ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه .

قضيت العجب كلمة جرت مجرى المثل معناه تعجبت العجب
القبري لانسه اذا تعجب عجباً قوياً فكأنه قصاه اي اداه واتمه
ومنه قضى وطراً قال الجبري في القامة وقضيت العجب مما رأيت

— **والمقطوعات** القطع من الشعر المختارة من قصائد او التي من اول الامر قطعاً قصيرة من الشعر وتسمى مقاطيع جمع مقطوع وتسمى قطعاً جمع قطعة وهي ما كان من الشعر اقل من ستة عشر بيتاً . ووصف ديوان الحماسة بذلك باعتبار غالبه وان كان قد يوجد فيه ما يزيد على ستة عشر بيتاً من قصائد كاملة او بعضها **والمقصودات** جمع المقصودة وهي القصيدة وجمعها قصائد واسم الجمع قصيد وقد يطلق القصيد على القصيدة باعتبار الجنس والقصيدة طائفة من الشعر زائدة على خمسة عشر بيتاً وهذه الاسماء مشتقة من القصد لان قائلها قصدها واعتمدها فاما المقصودة فان الشاعر جعلها قصيدة وما دون القصيدة يسمى قطعة . والذي دونه المفضل هو الديوان المعروف بالفضليات يشتمل على مائة واربع وعشرين قصيدة اختارها اجابة لرعية ابي جعفر المنصور لقائده ابنه المهدي وجامعها هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي الراوية اللغوي توفي سنة ١٦٨ وعلى الفضليات شرح للمرزوقي ذكره ياقوت .

وقوله « الى كل غاية » اي الى غايات كثيرة فان كلمة كل تستعمل في الكثرة المبالغة دون قصد الشمول كقول النابغة :
 بها كل ذيال وخنساء ترعوي الى كل رجاف من الرمل فارد
 وي القرآن --- وجاءهم الموج من كل مكان — ووقع في نسخة

الاستمارة « اكمل » عوض كل وهي ظاهرة

وقوله فقد فليته : وقع في احدى النسختين التونسيتين قلبته
بقف ثم لام مشددة ، ثم موحدة وهي احسن استعارة من فليته لان
القافي هو البحث عن القمل في الرأس فهو كلمة مرذولة ينبو الادباء
عن استعارتها كما سيأتي . والنساء المضمومة وهي تاء التكلم حكاية
لقول المخاطب المحكي انفساً بقوله : « وقت ان ابا تمام الخ »
والاسلوب بضم الهمزة الطريق وهو في الاصطلاح منقول للطريقة
المخصوصة من الكلام البليغ كقولهم في الالتفات انه انتقال من أسلوب
الى أسلوب اي من طريقة الخطاب الى طريقة انغيبية مثلاً وقولهم الاسلوب
الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب .

(وزعمت بعد ذلك اجمع انك مع طول مجالستك لها بذة
الشعر والاعناء بعانيه والمبرزين في انتقاده لم تقف من جهتهم على
حد يدريك الى المعرفة بجيده ومتوسطه وديته حتى تجرد الشهادة
في شيء منه وثبت الحكم عليه او له آمنة من المجاذبين والمدافعين)
المجاذبون اصحاب المجازبة وهي مفاعلة من الجذب للشيء اي ادائه باليد
لاخذه فالمجازبة ان يجذب كلا الشخصين شيئاً واحداً كلاهما يطلب
احده لنفسه والمراد بها هنا تمثيل للمحاجة والاستدلال فكل يظهر

ان الحق في جانبه وهي من شعار اهل العلم في محادثاتهم ومناظراتهم .
قال الزمخشري في ديباجة الكشف : في صفة من يستأهل أن يفسر
القرآن « قد رجع زماناً ورجع اليه . ورد ورُد عليه » .

واما المدافعة فهي مناغلة ايضاً وهو ابعادك الشيء عن جهة ما ؛
فالمدافعة مراد بها ابطال دليل الخصم عند المناظرة فمن المدافعة المنع
المجرد والمنع بالسند في قواعد الجدل وبقية الاعتراضات على الادلة
وكلها راجعة الى المنع . واعلم ان المؤلف قد بين المجاذبة في آخر هذا
الشرح بقوله « لا انسى مجاذباتي فيها متى كان في القول امكان
وللتحصيل ارداد ولسهم النضال تسديد وفي قوس الرمي منزع » .
(بل تعتقد ان كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز ان لا يطابقه
عليه عمرو)

الذي في النسختين التوانسيتين ونسخة الاسنانة يستجيزه بدال
عوض الزاي وهي احسن معنى ونظماً .

ومعنى « لا يطابقه » لا يوافقه مأخوذ من الاطباق وهذه
المادة تؤخذ بالمساواة ومنه التسبق وهو غطاء الاناء لانه يجعل
بمقداره ومنه ايضاً الانطباق .

(وانه قد يستحسن البيت ويشي عليه ثم يستهجن نظيره
في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة فيعرض عنه اذ كان ذلك

موقوفاً على استحلاء المستحلي واجتواء المجتوي) - الاجتواء
 بالجيم افتعال من الجوى وهو الداء الباطني ، والمراد بالاجتواء هنا
 الكراهة ونفور الطبع واصله عدم ملاءمة الجو لساكن فيه وفي
 حديث النفر من عكل وعرينسة « انهم اجتووا المدينة » اي
 استوخوا جوها اذ كانوا من اهل بادية وصيغة الافتعال هنا للمطاوعة .
 (وانه كما يرزق الواحد في مجالس الكبراء من الاصغاء اليه
 والاقبال عليه ما يحرم صنوه وشبيهه مع انه لا فضيلة لذلك ولا
 نقيصة لهذا الا ما فاز به من الجد عند الاصطفاء والقسم)
 اي وان ذلك يشبه ما يرزق الشخص من الاصغاء اليه - وقوله ما
 يحرم صنوه كذا في جميع النسخ وهو من حذف عائد صلة الموصول
 اذ كان منصوباً بفعل وهو كثير فالتقدير ما يحرمه - والجد بفتح
 الجيم الحظ والبخت . والقسم بفتح القاف وسكون السين مصدر
 بمعنى اسم المفعول وهو ما يقسم للمعطى بفتح الطاء من العطاء قال
 الأعمش : ويقسم امر الناس يوماً وليلة - والقسم في كلام المؤلف
 معطوف على الاصطفاء - والمعنى انك تتوهم ان سبب التفاضل بين
 البلغاء تابع لميل الاعيان الى بعض البلغاء دون بعض بسبب اجتناب
 المائل للمال اليه اجتناباً ناشئاً عما للمال اليه من البخت الذي قدره
 الله له .

(وقلت ايضاً اني اتنى ان اعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلغاء والعدر في قلة المترسلين وكثر المفلقين
والعلة في نباهة اولئك وخمول هؤلاء ، لما اذا كان اكثر المترسلين
لا يفلقون في قرض الشعر واكثر الشعراء لا يرعون في انشاء
الكتب حتى خص بالذكو عدد يسير منهم مثل ابراهيم ابن
العباس الصولي وأبي علي البصير والعتابي في جمعهم بين الفئتين
واغترازهم ركاب الظهريين ونظام البلاغة يتساوى في اكثره
المنظوم والمنثور .

هذا تمام مجازة المخاطب المحكية في قول المؤلف « فاسك
جاريتني » وقوله « ثم سألني » وقوله « وقلت » وقوله « وزعمت »
ثم قال « وقلت » ووقع في كلام المؤلف « والعدر في قلة المترسلين
وكثرة المفلقين » .

فالمترسلون هم اصحاب الترسل وهو صناعة انشاء الكلام
النثري فان الانشاء : يطاق عليه اسم الترسل اطلاقاً شائعاً وقد سمي
شهاب الدين محمود الحلبي كتابه في صناعة الانشاء حسن التوسل
الى صناعة الترسل .

والمفلقون بضم الميم وكسر اللام هم فحول الشعراء يقال أفلق
الشاعر اذا نبغ في الشعر وهذا اللفظ مشتق من الفلق بكسر الفاء
وسكون اللام وهو الشيء العجيب وهذا اللفظ من الكلمات التي
ذهل عن اثباتها صاحب الصحاح وصاحب القاموس وذكر المؤلف

ثلاثة ممن خص بالذكر من شعراء الكتاب — وقد بوب ابن رشيق في العمدة باباً لاشعار الكتاب فذكر الصّولي وبعضاً من جيد شعره وذكر أيضاً محمد بن عبد الملك الزيات . والحسن بن وهب . وسعيد بن حميد الكاتب . وذكر الوزير ابا الحسن بن الخلال المهدي وزير بني عبيد . وأزيد من شعراء الكتاب لسان الدين بن الخطيب السلمي الاندلسي .

والصولي منسوب الى أصول بضم الصاد ضيعة من جرجان وهو تركي الاصل نشأ في الدولة العباسية في مدة المعتصم واتصل بالوزير المفضل ابن سهل وتوفي سنة ٢٤٣ له نثر بليغ وشعر رقيق غير طويل ترجمه ياقوت في ارشاد الاريب .

وابو علي البصير هو المفضل ابن جعفر النخعي الكوفي الضمير سكن بغداد في خلافة المعتصم ؛ شاعر وكاتب توفي سنة ٢٥٥ ترجمه الصفدي .

والعتابي بعين مفتوحة ومثناة فوقية مشددة هو كاثوم بن عمر العتابي منسوب الى بني عتاب من بطون تغلب ولد بالشام وسكن بغداد واختص بالبرامكة ومدح الرشيد وهو شاعر مجيد وكاتب حسن الترسل توفي سنة ٢٢٠ ترجمه في ارشاد الاريب ونظير ما ذكر فيمن جمع الشعر والترسل ما ذكره الجاحظ فيمن جمع الشعر والخطابة وعد

منهم بضعة عشر في كتاب البيان والتبيين (١).

وذكر المؤلف لفظ الخمول وهو بضم الخاء المعجمة مصدر خمل

أي سقط وهو مستعار لعدم الشهرة :

(وإنا انشاء الله وبه الحول والقوة اورد في كل فصل من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضوع ويمكن الاكتفاء به اذ كان لتقصي المقال فيه موضع آخر من غير ان انصب لما تصوره النعوت الامثلة نقادياً من الاطالة لانه اذا وضح السبيل وقعت الهداية بأيسر دليل . والله عز وجل الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل) انصب بضم الصاد مضارع نصب الشيء اذا رفعه واظهره ومنه سمي التمثال من الحجر نصباً تسمية بالمصدر واستعار المؤلف هذا الفعل لمعنى اذكر وابين النعوت فاعل تصوره - والامثلة مفعول انصب ومراده بالنعوت التوصيفات الموضحة للحقائق والقواعد التي توضع لطرق النقد والاختيار - والتفادي التجنب والتحامى (اعلم ان مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها واردافها مفترقة وذلك لتفاوت اقدار منادحها على اتساعها وتنازع اقطار مظانها ومعالمها ولان تصاريف المباني التي هي كاللاوعية . وتضاعيف المعاني التي كالأمثلة في المنشور اتسع مجال الطبع فيها

(١) صفحة «٥» جزء طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥

مكان الذهاب اي الطريق وتطلق كثيراً على الآراء والافكار وإنما سموها مذاهب لأنها كالطرائق يذهب فيها الفكر فمشلوا حركة الفكر في معلومات خاصة يمشي الماشي في طرائق معينة . فهذا الاطلاق استعارة ثم شاع عند اهل العلوم فصار حقيقة عرفية علمية في مجموع المسائل العلمية النظرية التي أخذ بها طائفة من علماء علم ما ؛ فيقال : مذهب مالك ومذهب ابي حنيفة ويقال مذهب البصريين ومذهب الكوفيين من النحاة **والاعطاف** بفتح الهمزة جمع عطف بكسر العين وسكون الطاء وهو قارعة الطريق - **والأرداف** بفتح الهمزة جمع ردف بكسر الراء وسكون الدال وهو التابع الموالي وكأنه اراد بها ارداف الاعطاف اي الطرق المنفرعة عنها فصار ذاك اللفظان استعارتين لأصول اساليب الانشاء ولما يتبع تلك الأصول من المحسنات كما يشير اليه قوله الآتي «ومنيهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد - وقوله - ومهمهم من ترقى الى ما هو اشق» قال السكاكي في مفناح العلوم عند انتهاء كلامه على محسنات البديع « واصل الحسن في جميع ذلك ان تكون الألفاظ توابع للعان. اعني ان لا تكون متكافئة » ؛ **والمناذج** بفتح الميم جمع مندوحة وهي الأرض المنسعة **والتمازح** مصدر بمعنى التباعد مشتق من نزع عن المكان اذا بعد **والأقطار** جمع قُطر بضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية

المعينة من الأرض والبلدان والمظان جمع مَظَنَة بفتح الميم وكسر
 الظاء على خلاف القياس في بناء اسم المفعلة اي المكان الذي يُظَن
 وجود شيء فيه والمعالم جمع معلم بفتح اللام وهو اسم المكان الذي
 يُعلم انه كان منزل قوم ومعالم القوم منازلهم التي بها آثارهم وهي
 مشتقة من العلم فذلك حسن جمع المؤلف بينها وبين المظان ايماء الى
 مراتب المعرفة بين علم وظن فاراد بالمظان القواعد النظرية التي
 انتجها الظن وبالمعالم القواعد القطعية التي هي قواعد الفن الناشئة عن
 استقراء الأدب العربي — وعلى — من قوله : على اتساعها — هي
 بمعنى مع، وهو معنى يعرض كثيراً لحرف على، يعني ان تناوت الأقدار
 تابع لاتساع اساليب الأدب ولتقدار احاطة الأديب بتلك الأساليب
 وذلك ان حق «مع» ان تدخل على المتبوع فكذلك «على» التي
 هي بعناها. والتصاريح جمع تصريف وهو التغيير اي تغيير المتكلم
 كلامه من اسلوب الى اسلوب ومن كيفية الى اخرى بحسب اختلاف
 مواقفه فالمراد تغيير طريقة الكلام التي يسلكها بان يسلك طريقة
 واخرى طريقة غيرها لا تغيير الكلام الواحد وتبديله وعرف عبد
 القاهر^(١) الأسلوب بقوله «والأسلوب الضرب من النظام والطريقة
 فيه» واطلاق التصريف على ذلك من اطلاق المصدر على اسم

(١) ص ٣٣٨ دلائل الاعجاز طبع مطبعة المنار .

المفعول كالخلق يعني المخلوق والتضاعيف جمع تضعيف وهو تكرير الشيء واراد بها الفنون الكثيرة فجمعها لأن كل فن في الكلام هو كتكرير للجنس الأعلى أعني جنس الخصوصيات البلاغية فانه تكرير مظاهر لا تكرير شيء معين . وقوله « اتسع مجال الطبع الخ » هو خبر عن قوله « ولأن تضاريف المباني الخ »

والطبع الوجدان الذهني والمراد به هنا وجدان البليغ وطبعه وهو المسمى عندهم بالذوق وهو الذي يحصل للبليغ من ممارسة كلام البلقاء ومن تطبيق القواعد والضوابط التي يتلقاها في تعلم الصناعة حتى تحصل له ملكة تتميز بها عنده اصناف الكلام في الجودة والرفعة ودونها بحيث يحكم بأن هذا الكلام حسن وهذا احسن وهذا دون ذلك . قال الجاحظ ^(١) «والانسان بالتعلم وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يحد لفظه ويحسن ادبه وهو لا يحتاج في فساد البيان الى أكثر من ترك التخيير» .

وقال السكاكي ^(٢) - ليس من الواجب في صناعة ان يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية - ثم قال :

(١) في البيان والتبيين صفحة ٧٤ - ٥٤ جزء اول طبع المطبعة الرحمانية بمصر .

(٢) في القسم الثالث من المفتاح في القانون الاول من الفصل الاول منه .

وقد كان شيخنا الحاتمي^(١) ذلك الامام الذي لن تسمح بمثله الادوار ما دار القلمك الدوّار يحيلنا بحسن كثير من محسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب أهـ - وبهذا يتضح ان الذوق والطبع مترادفان ولذلك تسمع ايمة الادب يقولون «هذا يشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم» ونحو هذه العبارة .

والجبال مكان الجولان وهو الطواف .

والمسرح مكان السروح وهو انطلاق الانعام في المرعى - وقد اشار المؤلف الى جهة الاختلاف الاولى اذ قال «وذلك لتفاوت اقدار منادحها على اتساعها وتنازع اقطار مظانها ومعالمها» .

واشار الى معذرتهم في التحير في تعيين مدخل الاستحسان وصدده بقوله «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمّعة - الى قوله - ومطرحة»

واراد المؤلف بهذين مواضيع المعاني البلاغية التي يعمل فيها الفكر لاستخراج دقائقها .

والمراد بضم الميم موضع رباد الإبل وهو تنقلها في المرعى مقبلة

(١) الحاتمي هذ أقف من ترجمته على سوى انه يلقب بشرف الدين وانه تلميذ عبد القاهر الجرجاني وانه شيخ السكاكي وقد ذكره السكاكي في المفتاح غير مرة وهو غير الحاتمي عصر المتنبي الذي الف كتاب نقد المتنبي .

ومدبرة .

والمطرح مكان الطرح أي البعد وكل هذه تفننات من المؤلف

في التعبير .

وقوله «في المنشور» يتنازعه تصاريف وتضاعيف وانما قيد موضوع بحثه هذا بالكلام المنشور لأنه سيخص الشعر ببحث آخر يحجىء عند قوله «وكان الشعر قد ساواد» .

ومعنى كلام الامام المرزوقي ان تنوع كفيات مواقع الكلام البليغ مع دلالة على المعاني التي يقصد اليها البلغاء قد كان تنوعاً يتجاذبه اعتبار الناظ الكلام واعتبار المعاني التي قصدتها البلغاء من صناعتهم في البلاغة وانه الذي كان سبباً في اختلاف اذواق علماء الأدب في شروط محاسن ايقاعها واختلافها ناشئاً عن اختلاف اميل الذاقين والمختارين بحسب ما اتفوه من ممارسة ما يعجبون به ويروق لديهم من نتائج اعمل اللسان . وهم مع ذلك متحيرون في تعيين سبب مدخل الاستحسان او ضده الى اذواقهم سواء من جهة اللفظ أم هر من جهة المعنى ويوضحه قوله : فن البلغاء الخ .

وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى اذ قال « وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازع اقطار مظانها ومعالمها » وأشار الى مدحهم من التحير في تعيين مدخل الاستحسان

وضده بقوله «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة الى قوله - ومطرحه »

وليس مراد اصحاب هذا المذهب اهمال الالتفات الى جانب المعاني ولكنهم جعلوا الاهتمام بالألفاظ في الدرجة الأولى فنول ما يقصد من اهتمام البليغ عند اهل هذا المذهب هو الكلام الذي هو قوالب للمعاني كما أفصح عنه المرزوقي في آخر كلامه بقوله « فأكبر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ اذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فارادوا ان يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يهجه ويتلقاه بالاصغاء اليه والاذن له فلا يعجبه » ثم بقوله « من البلغاء من قصد فيما جاش به خاطر السخ » وحاصل ما اشار اليه المؤلف اختلاف ايمة النقد في تعيين الساجية للكلام التي منها يكون فضله او صده وبها يستحق اختياره او رده .

وسبب هذا الاختلاف في مرجع التفضيل ان اهل النقد والاختيار وجدوا في انفسهم ادراكاً للتفاضل بين كلامات البلغاء تفاضلاً توافقوا عليه في الغالب واختلفوا فيه تارات بين مختار ومنتقد فايقنوا انهم ما اتفقوا على الكلام الذي اتفقوا على تفضيله الا لخصال اشتمل عليها موجبة لتفضيله متساوية في الثبوت عندهم، وانهم ما اختلفوا في الكلام الذي اختلفوا فيه الا لخصال تخالف لخصال

التي اعتادت نفوس اهل الاختيار استحسانها وموافقة الخصال التي اعتادت نفوس اهل النقد كراهتها فايقنوا ان من خصال الكلام ما هو حقيق بان يكون مناط اختيار وضده فكان ذلك الادراك في اتفاهم واختلافهم حافظاً لهم للبحث عن جوامع تلك الخصال ومقوماتها .

وعلموا ان ادراكهم وفاقا وخلافا يرجع الى معتادهم من مزاولة مختلف احوال كلام البلغاء في مراتبه ، اعلاها وادناها ، فبعثهم على وصف ما يصفونه بحسن او بدونه .

وكان لكل كلام بليغ مبان اي الفاظ بني عليها في حسن التمام وانتظام ومعان لها صور في العقل يستجدها السامع ويفتبط بها .
وكان ذلك الادراك انفعالا ذهنياً يؤول بالدربة الى ملكات ذوقية فلما حاولوا ان يستدلوا عليه عند المجاديين او ان يصفوه المتعلمين عند المدارس ضاقت الافكار عن الاحاطة باسبابه والعبارات عن الدلالة على منابعه فاحتاروا في أن مثار ذلك الادراك الحاصل لهم من اين نشأ ، أهو من جانب مباني الالفاظ وانتظامها ام من جانب المعاني وصورها ؟ ثم احتاروا في شرح اسباب حصول ذلك في احد الجانبين او في كليهما ، فاستعان كل واحد على ابانة الاوصاف التي تعقلها ابانة بما حفر لديه من التقریب والتشبيه

والتمثيل على ان يبلغ ما في نفسه الى نفوس المجاذبين والمسترشدين ،
فشبهوا المعاني تارة باحوال الاناس والحيوان من الجوارى والظباء
واحوال المتاع النفيس من حلى او نحو ذلك ثم استمتعوا تلك
التشبيهات بالبناء عليها فجعلوا للجوارى معارض ومطارف وجعلوا
للحيوان وحشياً وانسياً ووصفوا اللفظ المقبول بالنيب والشريف
وضده بالهجين وبالردي والمستكره .

ووصفوا المعنى المقبول بالرفيع والكريم . وضده بالحقير والفاقد
والدني والساقط (١) .

ثم عززوا ذلك كله بالمقارنات بين منشآت البلغاء والموازنة
بينها . وقد تصدى المؤلف الى تقريب ذلك كله والجمع بين مختلفه
بما تفنن في اوصافه مع الحرص على الاختصار فقال « اعلم ان
مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة ، وطرائق ذوي
المعارف باعطافها وارداً فيها مفترقة ، وذلك لتفاوت اقدار منادحها على
اتساعها وتنازع اقطار مظانها ومعالمها ، ولأن تصاريف المبانى التي هي
كالاوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة في المنشور ، اتسع مجال
الطبع فيها ومسرحه ، وتشعبه راد الفكر لها ، مطرحه . » وكان
الحائضون في هذا الشأن فرعيين ، فمريق ، وهم الاكثرون ، هم من

(١) س ٧٤ الجزء الاول من البيان والبيان للجاحظ طبع الرحمانية بمصر

اصحاب الذوق والبلغاء من الادباء ، ولكنهم غير متمرسين في علوم المعاني والبيان فكانوا اذا وصفوا الكلام البليغ وصفوه بالاساليب التي اعتادوها في منشآتهم وهي الابانة عن محاسن الكلام بالتقريب بالاساليب التشبيه والمجاز والكناية فيبرز وصفهم الكلام في صورة انشاء بليغ او شعر جيد ، وهم على ذلك قد اناروا الطريق لسالكيه ولكنه لا يشفي غليل الطالب ولا يبلغ به الواصف قصده؛ وهذا كما وصف ابن الاثير ^(١) كلاماً فصيحاً بقوله « البيان الذي لا يعض منه نسق الغريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد يستميل سمع الطاروب ويستحق وقار القلوب » وقوله « وان للكلمة طعماً يعرف مذاقه من بين الكلام ، وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام » وقوله « الفاظ كخفق البنود او زار الأسود ومعان تدل بوارقها انها هي السيوف ان قلوباً نمتها هي العمود » . وكما وصف

(١) هو الوزير نصر الله ابن محمد المعروف بابن الاثير الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر الموصلية توفي سنة ٦٣٧ وهو من ائمة الادباء والكتاب له كتاب المثل السائر مشهور مطبوع . وكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور ذكره صاحب كشف الظنون ويظهر انه الفه بعد امثل السائر لانه لم يذكره في كتاب المثل السائر مع انه ذكر كتاباً آخر له سماه الوشي المرفوم في حل المنظوم وهذا الجامع الكبير اخص من المثل وافل شواهد ولكنه قد يكون اكثر منه قواعد فلعله قصد منه تهذيب الفن والاقبال من انتشاره وهو يقع في زهاء ثلث حجم المثل السائر وهو عزيز الوجود وفي مكتبتي نسخة منه نسخت سنة ٦٦٨ وهذا الكلام الذي ذكرناه هنا هو من كتاب المثل السائر .

البحثري وفارن فقال :

في نظام من البلاغة ماشك امرؤ انه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يُخلقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعرَ جرول ولبيد
حزنَ مستعمل الكلام اختياراً

وتجنبن ظلمة التعقيد

وركن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد البعيد

وفريق هم اصحاب علوم العربية من المعاني والبيان وغير انهم لم
يكمل عندهم ذوق صناعة البلاغة وهؤلاء قصاراهم بيان خصائص
الكلام البليغ بياناً كلياً وتمثيلاً بشاعداً او شاهدين مما فيه تلك
الخصوصية، ولا ينفلون بأن تكون شواهدهم مستكملة شروط الجودة
بأكثر من اشتمالها على ما يحقق القاعدة، مثل احمد بن يحيى ثعلب .
واحق الناس باطلاق العنان في هذا الميدان هم الذين استكملوا
عدة الفريقين وتكلموا باللسانين، مثل الجاحظ والآمدي وعبد القاهر
الجرجاني ويوسف السكاكي والمرزوقي وابن الأثير وان كان هذا
الأخير دونهم ذوقاً^(١).

(١) سنأتي ترجمته عند ورود كلام له .

قال المؤلف (فن البلغاء من يقول فقر الالفاظ وغورها .
كجواهر العقود ودررها . فاذا وسم اغفاءً بتحسين نظومها .
وحلي اعطائها بتركيب شذورها . فراق مسموعها ومضبوطها .
وزان مفهومها ومحفوظها . وجاء ما حور منها مصرفاً من
كدر العي واخطل . مقوماً من أود اللحن واخطا . سالماً من
جنف التأليف . موزوناً بيزان الصواب . يوج في حواشيه
رونق الصفاء لفظاً وتركيباً . قبله الفهم والتذ به السمع . واذا
ورد على ضد هذه الصفة صدى الفهم منه وتأذى السمع به تأذي
الحواس بما يخالفها)

أراد بالبلغاء ائمة النقد وعلماء فن الترسل وقرض الشعر والبلاغة ،
الذين يصرفون اهتمامهم الى العناية بحالة الكلام المفيد المعاني وجعله
مناطق الاختيار والنقد .

وهذا المذهب نسبة الأمدى في كتاب الموازنة الى الكتاب واهل
البلاغة ونسبه عبد القاهر في دلائل الاعجاز الى القدماء^(١) ؛ وعلى
حسب اهتمامهم هذا يجري اختيارهم فيما يختارون من صنایع اهل
الأدب ويجري تعليمهم فيما يلقنون للشادين في مزاولة الصناعة من
الترسل وقرض الشعر ، فهم يصرفون الاهتمام الى محاسن الكلام فلما
وجدوا المعاني انما تظهر من دلالة الكلام عليها صرفوا اول العناية

(١) انظر صفحة ١٨٤ من دلائل الاعجاز سطر ٢٠-٢١ طبع مطبعة المنار

الى جانب الكلام والفاظه ، وجعلوا المعاني حاصلة بالتبوع - وعلى عكس هذه الطريقة من الاعتبار جرى الفريق الذين قدموا النظر الى جانب المعاني . وهذا المذهب هو الذي احتفل به الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز في الفصول التي ترجمها بفصول شتى في امر اللفظ والنظم (١) .

فظهر ان المقصود من صرفهم الاهتمام الى العناية بمجالة الكلام اشتراطهم ان يكون كلاماً فصيحاً بفصاحة كلماته في حد ذاتها وبفصاحة تراكيبها عند اجتماعها . ثم بما يعطيه نظم الكلام عند تركيبه من أساليب في التقديم والتأخير والذكر والحذف والفصل والوصل والحقيقة والمجاز من خصائص يفوق بها غيره مما هو دونه في ذلك ، فذلك كله يرجع الى اللفظ . فاما فصاحة الكلمات فلائها اجزاء الكلام فتعين ان تكون الأجزاء فصيحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً . ومعنى فصاحة الكلمات سلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة قواعد اللغة المستقرة من استعمال العرب وهذا ما يقتضيه تشبيه المؤلف الألفاظ بالجواهر والدرر ، اذ لم يختلف ائمة البلاغة في ان من شرط كون الكلام فصيحاً ان تكون كلماته فصيحة ، ولم ينكروا ان الألفاظ المفردة تتفاضل بمقدار تفاضلها في فصاحتها ، و يظهر ذلك

(١) صفحة ١٨٠ من دلائل الاعجاز .

جلياً في المترادفات ، فلا يختلفون في ان لفظة اسد أحسن من لفظة فدوكس وقد عابوا استعمال المتنبى الفاظ القلقلة في قوله :

وقلقت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل هم كلهم قلاقل

قال الشيخ في دلائل الاعجاز^(١): وقصارى تفاضل الكلمتين لا

يكون أكثر من كون احدهما مؤلفة مستعملة والأخرى غريبة وحشية -

او تكون حروف هذه اخف وامتزاجها أحسن ومما يكيد اللسان ابعده.

وقال^(٢) : من المعلوم ان لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة

والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية الى اللفظ دون المعنى غير وصف

الكلام بحسن دلالته وتامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين

واحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من نيل

القلوب ؛ ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير ان يؤتى المعنى من الجهة

التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو به اخص ، واحرى

بان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية .

وهل يتصور ان يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى

تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبها على

ما هي موضوعة له حتى يقال ان رجلا ادل من فرس فلذا لا تتفاضل

الكلمتان المفردتان الا بالنظر الى المكان الذي تقعان فيه من نظم الكلام.

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥ .

ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها
من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها «
وقال (١): فاذا تلاقت في النطق حروف تنقل على اللسان - ومثله
بأبيات التنافر الشديد والمتوسط - فذلك وجه من وجوه النفاضل
بين كلام على كلام ، ولكن ليس المقصود ان يكون ذلك عمدة
المفاضلة وهذا لا ضرر به علينا اه

ولهذا فالذين لم يتعرضوا الى محاسن الكلمات المفردة ما ارادوا
عدم الالتفات الى شرائط حسنها ولكنهم استغنوا عنه بحصوله تبعاً
لحصول شرائط فصاحة الكلام ومحاسنه ، ولكن المتأخرين من عهد
السكاكي رأوا ان لا يحيص عن الاعتداد بصفات الكلمة المفردة
قبل دخولها في نظم الكلام، فجعلوا الفصاحة مشتركة الوقوع في المفرد
وفي الكلام، لاسيما بعد ان وضحت المحجة وزالت الشبهة التي
استنكرها عبد القاهر، وان كانوا لا ينكرون ان فصاحة المفرد لا يهتم
بها الا من حيث انه معرض للوقوع في الكلام . قال الخلاف الى
اللفظ، وقد اشار المؤلف إلى الامرين في قوله الآتي «اذ كانت الالفاظ
لمعاني بمنزلة المعارض للجواري» واصحاب هذا المذهب لا
يعاؤون بالصنعة ولا يتكلفون للمحسنات، ومنهم عبد القاهر؛ قال في

(١) دلائل الاعجاز ص ٤٤ .

أسرار البلاغة^(١) « ولن تجد ايمن طأراً . واحسن اولاً وآخراً .
من ان ترسل المعاني على سجيتهما وتدعها تطلب لأنفسها الالفاظ
فإنها اذا تركت وما تريد لم تنكس الا ما يليق بها ولم تلبس من
العارض الا ما يزينها فاما ان تضع في نفسك انه لا بد من ان تجنس
او تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي انت منه بعرض الاستكراه
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم» اء .

واليك تفسير مفردات من كلام المؤلف فقو بكسر ففتح اسم
جمع فقرة وهي ما انعمد من عظام الصلب كالعلبة و اراد بها
المفردات . والفرو جمع غرة وهي دائرة بيضاء في جبهة الفرس وهي
من محاسن الخيل و اراد بها محاسن الكلمات والمعنى ان شروط
محاسنها ك شروط محاسن الجواهر في العقود افراداً وتأليفاً . والاغفال
جمع غفل بوزن قفل وهو القدح من قداح الميسر الذي لم تجعل له
علامة تدل على نصيب من يخرج له فصاحبه في الميسر لا نصيب له .
وبذلك يظهر معنى قوله فاذا وسم اغفالها حيث جعل الكلمة
غير المنتخبة كالقدح الذي لا حظ له في القداح . والاعطال جمع
عاطل وهي المرأة التي لا حلية عليها؛ جعل الكلمة غير المنتخبة كالمرأة
غير الحالية، فاذا انتخبت الكلمة للمعنى كانت كالمرأة الخالية والشذور

(١) صفحة ١٠ طبع مطبعة المنار .

جمع شذرة بفتح الشين المعجمة وسكون الذال المعجمة وهي اللؤلؤة
أوالقطعة من الذهب غير المشذبة - **والعي** بكسر العين وتشديد الياء
العجز عن الكلام و اراد به هنا العجز عن تأليف الكلام في الترسل
والانشاء - **والخطل** بفتححتين خطل الرأي وهو فساد التفكير .
اراد به هنا الخطأ في المعنى - **واللحن** الخطأ في الانفاظ بايرادها
على خلاف الطريقة العربية من اللغة والاعراب **والخطأ** في الكلام
ايراد اللفظ في غير معناه الموضوع له لغة دون قصد مجاز او استعارة
تدل عليها قرينة - كقول المسيب بن علس يصف جملته :

وقد اتلاني الهمم عند احضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
فأخطأ اذ جعل للجمل الصيعرية والصيعرية سمعة توسمها النوق ولذلك
لما سمعه طرفة قال : استنوق الجمل . فسارت مثلاً .

والجنف بجيم ثم نون مفتوحتين الخروج عن جادة الطريق
واراد به الخطأ في نظم الكلام على الاساليب العربية في التقديم
والتاخير . ووقع في احدى النسخين النونسين حين نجاء مهملة
ومثناة تحتية وهو الظلم اي ظلم الكلام العربي لعدم اعطائه حقه
الذي رسمه له العرب ، ولفظ جنف احسن .

والموج اضطراب سطح الماء وتحركه وهو من محاسن منظر الماء .
والخواشي الاطراف وهي للماء شطوطه وسافات سواقيه .

والرونق الحسن والمعان .

قال (ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فتجاوزه والتزم من الزيادة عليه) اي من البلغاء فريق لم يقتنعوا لحسن الكلام بحسن الفاظه وتركيبه بل ارتقى الى طلب محاسن زائدة تتعلق بزيادة في تنميق الكلام ومحاسنه وهي (تتميم المقطع) اي حسن اختتام الرسالة والخطبة والقصيدة فالمقطع اسم مكان القطع اي قطع الكلام اي ختمه ونهيته ومعنى تتميمه جعله تاماً لا يترقب السامع شيئاً بعده وهو ان يؤتى بما يؤذن بانتهاء الكلام كقوله تعاله « هذا بيان للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الاله واحد وليذكر اولو الالباب » — وقوله : يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم — واشهر انواع براعة المقطع الدعاء الا انه لكثرة وروده في الرسائل سمح في الاذواق فكان العدول الى غيره احسن مثل التوريات بلفظ الكمال واختتام ومثل ما لا يبقى بعده مترقب للازدياد من الخبر كقول الحريري .. في المقالة ٨٥ « فعاهدني على ان لا افوه بما اعتمد ما دمت حلا بهذا البلد ، فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفي السموأل . » وقوله في المقامة المائة : فرقت رقعته شذرمذر . ولم ابال اعذل ام اعذر» وهذا الشرط الذي ذكره المؤلف من استحسان

المولدين ولم يكن مرعياً عند بلغاء العرب . قال « وتلطيف المطلع »
اي جعله لطيفاً اي رقيقاً حسناً انيقاً لان مطلع الرسالة او القصيدة
أول ما يقرع فهم السامع او المطالع فاذا كان حسناً بديعاً استجلبه
للاقبال على بقيته بالنظر او الاصغاء . قال ابن الاثير في الجامع
الكبير^(١) : وقد كان بعض علماء البيان يقول « احسنوا معاشر
الكتاب الابتدئات فانهن دلائل البيان » ومن اهم ذلك الاحتراس
من الفاظ تستكره عند السامع . وللعوائد اثر في هذا الشأن ولذلك
قد ترى المولدين ينتقدون بعض فواتح القصائد بما قد كان مثله
شائعاً عند العرب مثل ذكر البين والبيلى . واحسن مطالع القصائد
ما كان يلفت نظر السامع الى ما بعده بان لا يكون من المطالع
المعتاد تكررها فينبغي ان يكون المطلع عزيزاً غير مطروق وذلك في
الالفاظ المفتوح بها فاذا انضم اليها عزة المعنى فقد استوفى المطلع
الحسن ، فان من المعاني المطروقة بكاء الديار الذي ابتكره امرؤ
القيس ومع ذلك تجد مطالع للنابعة في هذا المعنى لطيفة . ومن احسن
المطالع قول عنتره :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّمٍ

(١) مخطوط بمكتبتي في ورقة ١٠٠ وهو شبيه بكتابه اثمل السائر

وَعُرِفَ بِاجَادَةِ الْمُطَالَعِ أَبُو تَمَامٍ وَابْحَثَرِي وَالْمُتَنَبِّيُّ — وَكَذَلِكَ
الْأَمْرُ فِي الرِّسَالَةِ مِثْلَ الرِّسَالَةِ الرَّقِطَاءِ لِلْحَرِيرِيِّ . أَمَّا فَوَاتِحُ سُورِ
الْقُرْآنِ فَقَدْ وَرَدَتْ عَلَى الْكَمْلِ الْوُجُوهُ بِخِلَافِ مُطَالَعِ رِسَالَتَيْ بَدِيعِ
الزَّمَانِ الِهْمْدَانِيِّ وَابِي بَكْرٍ الْخَوَازِمِيِّ إِذِ التَّزْمَا غَالِبًا افْتَتَحَهَا بِكَلِمَةِ
— كِتَابِي — وَلَعَلَّهَا جَرَتْ بِهَا عَادَةُ الْكِتَابِ فِي بِلَادِهِمْ

« وَعُظْفُ الْآوَاخِرِ عَلَى الْآوَائِلِ » أَرَادَ بِهِ مَا يُسَمَّى عِنْدَ
الْمُتَأَخِّرِينَ رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ وَيُسَمَّى عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ التَّصْدِيرَ
وَأَمِثْلَتَهُ كَثِيرٌ وَلَفْظُ عُظْفٍ فِي كَلَامِهِ هُوَ بِالْمَعْنَى اللَّغْوِيِّ وَهُوَ الرَّجُوعُ
وَالْمِيلُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَعْنَى النَّحْوِيَّ

« وَدَلَالَةُ الْمَوَارِدِ عَلَى الْمَوَاصِرِ » أَرَادَ بِهَا بَرَاعَةَ الْاسْتِهْلَالَ
وَهِيَ أَنْ يُؤْتَى فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ بِمَعَانٍ فِيهَا إِيمَاءٌ إِلَى الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ
مِنْهُ فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ وَارِدَ لِمَاءٌ وَكَأَنَّهُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ
صَادَرَ عَنِ الْمَاءِ وَهَذَا قِسْمٌ مِنْ بَرَاعَةِ الْمُطَالَعِ الَّتِي سَمَّاها الْمُؤَلِّفُ آتْفَاقًا
— تَلْطِيفِ الْمُطَالَعِ —

وَالْمَوَارِدُ جَمْعُ مَوْرِدٍ وَهُوَ مَكَانٌ وَرُودُ الْمُسْتَقِينَ أَيَّ جَمِيعِهِمْ
إِلَى الْمَاءِ . قَالَ تَعَالَى : وَمَا وَرَدَ مَاءٌ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَالْمَوَاصِرُ جَمْعُ مَصْدَرٍ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَصْدُرُ الْمُسْتَقُونَ مِنْهُ
عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ السَّقْيِ . قَالَ تَعَالَى : قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ . قَالَ

قس بن ساعدة :

لما رأيت موارداً لغوت ليس لها مصادر
— والاختلاف بين الموارد والمصادر باعتبار اختلاف حال
المستقي اما المكان فواحد .

« وتناسب الفصول والوصول » الفصول جمع فُصُل
والوصول بالواو جمع وَصُل وكلاهما لقب من الالتقاء المصطلح عليها
عند علماء المعاني من اهل البلاغة : فالفصل ترك عطف جملة على جملة
قبلها بان يوتى بالثانية غير مقترنة بحرف عطف والوصل عطف
احدى الجمل على الاخرى ؛ ولكل من الفصل والوصل مواقع بعضها
تتعين مراعاته وبعضها تحسن مراعاته ، وقد عقد لها باب واسع في
دلائل الاعجاز لعبد القاهر وفي المفتاح للسكاكي . واتى المؤلف
بصيفتي الجمع في الفصول والوصول باعتبار تعدد مسائل كل
وصورها . والمؤلف حشر هذا النوع في عداد الصناعة اللفظية نظراً الى
كون الاثنيان بالعاطف وعدمه لا يغير معنى الجملة غالباً وإنما هو
وسيلة من وسائل الايضاح والافصاح في العربية فهو بمنزلة الاعراب (١)

(١) نهيت بهذا على ان الاعراب ليس ما يتوقف عليه معنى الكلام بل
تتوقف عليه سرعة الفهم وهو مبدأ لفصاحة الكلام العربي وقد اخطأ من قال
من المتأخرين - يزعم عدم الحاجة لعلم النحو - :

وقالوا فام زيد ثم ظنوا بدون الرفع زيدان يتوما
ولم ار من سبقني الى تنفيذه على هذه الخصوصية لعلم النحو

فأل الى حالة لفظية في نظم الكلام وان كانت مراعاة ترتبط بمراعاة موقع معنى الجملة من معنى التي قبلها فملاحظة موقع الجملة شرط في مراعاة الفصل او الوصل ولا يوجب اختلافاً للمعنى الذي تشتمل عليه الجملة. واما عد الفصل والوصل في علم المعاني فلأن مسائله ليس لها شائبة اندراج في مسائل علم البيان ولا في مسائل علم البديع فكان علم المعاني اولى بضمها وهي بالفصاحة اعلق فينبغي ان ينتبه لهذا الصنيع الذي صنعه المرزوقي بتدقيقه . وسيأتي ذكر الفصول والوصول في عداد التحام اجزاء النظم

« وتعادل الاقسام » يريد بتعادل الاقسام ما يسمى عند الادباء بصحة التقسيم ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدت عنها بقسمه وعدم الغفلة عن ذلك ولا التخليط فيه . وقد قال المؤلف في ذكر المقابح : او يكون في القسم او التقابل او التفسير فساد .

واعلم ان هذا مبحث عظيم من مباحث علم الخطابة تكثر الحاجة اليه فيها ومنزع دقيق من منازع صناعة الترسل وصناعة الشعر . وتفصيله في كتب البديع ونقد الشعر . والتعادل التكافؤ اي ان لا يكون بعضها اوفر في الذكر . « وتعادل الأوزان » ظاهر ان ليس مراده بالاوزان اوزان الشعر لان كلامه هنا على شرائط الاختيار في الكلام المنشور ولان حقيقة الشعر مشروطة بتعادل الاوزان وسيجيء كلامه على ذلك بالنسبة للشعر في ذكر الباب

الخامس من الابواب السبعة التي جعلها عمود الشعر ولذلك لم يعد
هناك تعادل الاوزان وإنما ذكر اتمام اجزاء النظم
وانما اراد بتعادل الاوزان هنا تساوي سموت الاسجاع وهي
المسماة بالقرآن التي تنزل من الكلام المسجوع منزلة المصارع للشعر
فتعادلهما بان تكون متساوية المقدار في النطق معتدلة فيه ، وذلك
اصل السجع: وبتقدير تساويه تنفاوت اقدار الكتاب . مثال المعتدل
النام قول الحريري في المقامة^{٢٩} : وأودى بي الناطق والصامت . ورثي
لي الحاسد والشامت - ومن هذا القبيل قول المؤلف في صدر هذه
المقدمة حسبا في النسخة التوانسية « وهو مستودع ادابها . ومستحفظ
انسابها . ونظام فخارها عند النغار وديوان حجاجها عند الخصام » .
وقد يكون بينها تفاوت قليل كقول الحريري في المقامة ٢٩
« الجاني حكم دهر قاسط . الى ان انتجع أرض واسط » ولا يجوز
التفاوت الكثير بين القرينتين وبالخصوص اذا كانت الاولى
اطول من الثانية . ومما يندرج في تعادل الاوزان أن تقابل زنة اللفظ
بمثليها في صيغة الاشفاق من فعل او وصف كقوله تعالى « قل ان
ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي »
فقول ضللت باهتديت وهما فعلان ماضيان وقول بل اضل بيوحي
وهما فعلان مضارعان . ومن تعادل الاوزان قول الحريري في المقامة

الاولى « وهو يطبع الاسجاعَ بجواهر لفظه ويقرعُ الاسماعَ بزواجر وعظه » وكل هذا معدود من المحسنات اللفظية فلا يصير البليغ اليه الا حيث لا يوجد ما يقتضي خلافه من جهة المعنى البلاغي ويراعى قريب منه في سموط الترسل غير المسجوع .

وانما حشر المؤلف هذا في عداد الخصائص العائدة الى الالفاظ لان الكاتب يغير ترتيب المعاني في سجعته تغييراً يهيبه ليوافقه هذا الاسلوب اللفظي فكان بسبب ذلك عملاً لاجل دقائق من حسن اللفظ يدل على قوة المنشئ في سجعته وكذا القول في الترسل

« والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار اولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهم السمع » قال عبد القاهر في دلائل الاعجاز^(١) : « ويختار للمعنى اللفظ الذي هو به اخص واحري بان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية »

« ومنهم من ترقى الى ما هو اشق واصعب فلم تقنعه هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس » هذه القاب لانواع من البديع لا تعسر على الناظر بمراجعة مباحثها فالترصيع .

« وعكس البناء في النظم » يريد بالنظم انتظام الكلام لا المقابيل النثر كما لا يخفى . وهذا النوع الحسن البديعي المسمى ما لا يستحيل

(١) صفحة ٣٥ طبع المار

بالانعكاس كقول العماد الكاتب للصاحب ابن عباد وقد انصرف
من عنده راكباً فرساً: سر فلا كبا بك الفرس... فاجابه صاحب
وقد فطن لما في كلامه من البديع قائلاً « دام عُلا العِاد » . ومن
احسنه في الشعر قول الأرجاني :

مَودُتُهُ تَدومُ لِكُلِّ هَوَلٍ وَهَلْ كُلُّ مَودَتِهِ تَدومُ
فهذا البيت يقرأ من آخره بحسب ترتيب الحروف كما يقرأ
من اوله . ومن احسنه رسالة البديع الهمداني المثبتة في مجموعة
مراسلاته (١) .

« وتوشيح العبارة بالفاظ مستعارة » غلب المؤلف جانب
الحسن اللفظي هنا على الخصوصية المعنوية فعدهذا في المحاسن اللفظية
جريا على طريقة كثير من الادباء واهل البديع وهي طريقة المتقدمين
من الادباء الذين دونوا اصول الادب قبل ان يميز علم البلاغة بالتدوين
بعناية الشيخين عبد القاهر والسكاكي ، والى هذا اشار الخطيب
القرظيني في قوله : « و بعضهم يسمي العلوم الثلاثة علم البديع » .
والتوشيح التزيين واصل التوشيح لباس الوشاح وهو من حلية النساء .
وقد لمح الى الاستعارة ومثالها عز الدين الموصلي في بديعته بقوله :
دع المعاصي فثيب الرأس مشتعلا بالاستعارة من ازواجها العقم

(١) طبع مطبعة الجواب بالاستانة ص ٣٨ .

« الى وجوه اخر تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فاني لم اذكر هذا القدر الا دلائل على امثالها ولكل بما ذكرته وما لم اذكره رسم من النفوذ والاعتلاء بازائه ما يضاذه فيسلم للنكوص والاستفحال» اي بحيث يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقدار مراعاة هذه الخصائص والحاسن ويحط باهمال ذلك في مواقع مراعاته انحطاطاً بمقدار ذلك الاهمال .

« فاكثر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ اذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فارادوا ان يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يبيح ويتاقاه بالاصغاء والاذن له فلا يحجبه » اشار بقوله فاكثر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ الى ان بعضها يتجاذبه الجانب المعنوي مثل الفصول والوصول ومثل توشيح العبارة بالاستعارة كما اشرنا اليه هنالك والمعارض جمع معرض بوزن منبر وهو الثوب الذي تتجلى فيه الجارية حين تعرض للبيع وهذا تشبيهه طريف وقد تبعه فيه عبد القاهر قال في دلائل الاعجاز^(١) « ويجعلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض لها » وأشار المؤلف بالتعليل في قوله « إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » الى ان البلغاء الذين صرفوا همهم في اختيار الكلام البليغ الى جانبه اللفظي ما ارادوا حالة مفردات الالفاظ ولكن ارادوا حالة الكلام المؤلف

(١) صفحة ١٩١

كيف تبرز حين تأليفه؛ والمؤلف ينحو بهذا الى ما تقدم مما حققه عبد
القاهر . و اراد المؤلف باصحاب الألفاظ احد الفريقين من نقاد الكلام
وهم الفريق الذين جعلوا وجهتهم في النقد احوال الالفاظ مفردة
ومركبة ومدى وفائها بالمعاني المرادة وحسن وقعها في الاسماع .

« وقد قال ابو الحسن ابن طباطبا في الشعر : هو ما ان

عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة وما خالف هذا فليس
بشعر » ساق للمؤلف كلام ابن طباطبا حجة على ان العناية باللفظ
هي في الدرجة الاولى عند كثير من اهل الادب بحيث ان حسن
الديباجة اللفظية يجعل الكلام مقبولاً ولو كان عرياً من معنى بديع اذ قد
يعرى البيت او اكثر من القصيدة ، والسطر او اكثر من الرسالة ،
عن معنى بديع فيكسوه الكلام بحسنه حسناً يعتاض به عن حسن
المعنى . وكلام ابي الحسن وان خصه بالشعر فهو منطبق على النثر
لا محالة كما أشار اليه المرزوقي بسوق كلام ابي الحسن عقب ما تقدم
ثم تقييده بقوله في «الشعر» . و ابو الحسن ابن طباطبا هو محمد بن احمد
ابن محمد بن احمد بن ابراهيم طَبَّاطِبَا بن اسماعيل بن ابراهيم بن
الحسن بن الحسن ايضاً بن علي بن ابي طالب وطَبَّاطِبَا بفتح الطاء
مكرراً لقب الصق بنجد جده ابراهيم بن اسماعيل لانه كان يلثغ في
القاف بجعله طاء وطلب يوماً غلامه ان يأتيه بشيابه فاتاه بدَرَاعَة

فقال « لا طَبَّاطَبًا » يعني قَبًا وكرره . و ابو الحسن شاعر مقلق وعالم محقق ولد باصبهان وتوفي بها سنة ٣٢٢ كان مشهوراً بالفطنة وصحة الذهن وله كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض وكتاب المدخل في معرفة المعنى من الشعر وكتاب في تقريب الدفاتر كان ابن المعتز يلهج بذكره وله شعر كثير وقد ترجمه ياقوت في ارشاد الاريب و— شعره البيت الذي فيه التشبيه اللطيف وهو :

لا تَعَجَّبُوا مِنْ بِلِي غَلَّالَتِهِ قَدْ زَرَّ اَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ
 « ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره الى ان تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من اثار عقله اكثر من استفادته من اثار قوله او مثله وهم اصحاب المعاني » هذا انتقال الى الطريقة الثانية من طريقتي البلغاء نقاد الكلام في عماد فضيلة الكلام وهي طريقة الفریق الذين صرفوا الاهتمام الاول الى المعاني التي يريد البليغ التعبير عنها ، وانت تعلم ان مقصودهم الذي يرمون اليه هو مصرف الاهتمام الاول على نحو ما قدمنا في تقرير مذهب اصحاب الجانب اللفظي وسندكر المراد بالمعنى عند شرح قول المرزوقي انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته فطلبوا المعاني المعجبة من خواص اماكنها . وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة . او رائقة بارعة فاضلة كاملة . او لطيفة شريفة

زاهرة فاخرة . وجعلوا وسومها ان تكون قريبة التشبيه
 لاثقة الاستعارة . صادقة الاوصاف لاثمة الاوضاع خلاصة في
 الاستعطاف عطافة لدى الاستنفار مستوفية لحضوضها عند الاستهام
 من ابواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير - والجدو والمزل -
 واخشونة واليان والاباء والاسماح . من غير تفاوت يظهر في
 خلال اطباقها ولا قصور ينبع من اثناء اغماقها مبتسمة من مثنائي
 الالفاظ عند الاستشفاف محتجبة في غموض الصيان لدى الامتهان
 تعطيك موادك ان رفعت بها وتمنعك جانبها ان عنفت معها «
 اشار بكلامه هذا الى تحقيق الجانب الذي يكون من شرف المعاني
 ليريك ان ليس المراد بصرف العناية الى المعاني ان تكون معاني
 الكلام كلها من الحق والموعظة او العلم فان ذلك لا يتأتى في كل
 كلام ولا يقتضيه كل مقام ، وان اكثر شعر العرب في الجاهلية
 بعزل عن ذلك وانما المراد ان المعاني التي يجيشُ بها الخاطر وهي
 المعاني الاصلية من اغراض التخاطب وغيره اذا جاش بها الخاطر
 وترددت في النفس يكون حقاً على البليغ ان يصورها معاني فائقة
 من مجاز او تشبيه او ايجاز او تلميح او تمليح حتى اذا ادبت بالكلام
 أبرزت الفاظها صوراً من الحقائق والكيفيات العقلية تقع من نفوس
 السامعين مواقع الاعجاب او الاستحسان . فانك اذا افترقت قول
 كثير:

ولما قضينا من منى كل حاجة
وشدت على دهم المهاري رحا لنا
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطي الأباطح
وهذا معدود من اجود الشعر ، لم نجد في اصل معناه اكثر من
انا فرغنا من الحج فركبنا راجعين ونحن نتحدث على مطي
الرواحل . ولكنك تجده افاد هذا المعنى بافانين من التصوير
المعنوي وتشخيص الاحوال ما ان سمعه السامع اهتز له اعجاباً .
وحرك للاستزادة من سماعه طالانا . وكان من اصحاب هذا المذهب
ابن الاثير في كتابه الجامع الكبير اذ يقول « ينبغي ان يستيقن
المؤلف ان المعاني اشرف من الالفاظ والدليل على ذلك اننا لو خلعنا
هذه الالفاظ من دلالتها على المعاني لما كان شيء منها احق بالتقديم
من شيء ، بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام ، والأصوات الناشئة
عنها . ويزيد ما ذكرناه وضوحاً ان هذه الصناعة من النظم والنثر
التي يتوابعها البلغاء بينهم وتفاضل بها مراتب البلاغة
انما هي شيء يستعان عليه بدقيق الفكرة وكثرة الروية . ومن
المعلوم ان الذي يُستخرج بالفكر وينعم فيه النظر انما هو المعنى
دون اللفظ لان اللفظ يكون معروفاً عند ارباب صناعة التأليف دأراً
فيما بينهم والمعنى قد يُبتدع فيذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه الخ . »

فمعنى قول المرزوقي « من قصد فيما جاش به خاطره الى أن
 تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله
 أكثر من استفادته من آثار قوله » ان أهل هذا المذهب
 يصرفون أكبر اهتمامهم عند قصدهم افادة المعاني الاصلية
 الى ان يودعوها في صور من المعاني البيانية تفيد متأملها معاني
 جملة ليس كل معنى منها مستفاداً من جملة او عبارة بل
 يستفاد الكثير منها من الجملة الواحدة، وذلك بحسن التوصيف
 بتشبيه قريب واستعارة لاثقة . وسيشير المؤلف الى ما يحاوله البلغاء
 من ذلك بكناية وتعريض وبضرب الامثال وبراءة تأثر السامعين
 على حسب اختلاف طبقاتهم وتنوع مقامات خطابهم بما يناسب
 تلك المقامات من التصوير المعنوي من خشونة او رقة . ومن جد
 او مزح ومن تصريح او رمز . ويحصل بذلك الایجاز الذي هو زينة
 كلام البلغاء كما قيل « لمحة دالة » مما لو جعل لكل مراد منه لفظ
 او جملة لطال الكلام وفانت براعة مؤلفه وضاعت فطنة متأمله او
 تساوت درجاتها . فاذا نظرت الى قوله تعالى : واشتعل الرأس شيباً -
 وجدت التصور المفاد من كلمة اشتعل مغنياً عن ان يقال شاب شعر
 رأسي دفعة واحدة ولم يترك الشيب منه شيئاً كالنار إذا التهبت في
 الحطب ، فتصوير الاشتعال افاد ذلك كله . واصحاب هذه الطريقة
 يجعلون النظر الى الألفاظ التي تؤدي المعاني التي يجيش بها الخاطر في

الدرجة الثانية .

وأما معنى مفردات كلام المرزوقي فقوله جاش ، فاض ،
والخاطر ، الذهن ، باعتبار جولته في المعاني فكأنه يخطر في خلالها
اي يمشي ؛ ومقصود المرزوقي انه نشأت في نفسه المعاني التي اراد
اقتادتها ثم جالت في نفسه حتى تمكنت ووضحت فشبّه ذلك
التمكن بالجيشان وهو غليان القدر .

وقوله « من أثار عقله » متعلق « باستفادة » .

وقوله « او مثله » ينبغي ان يضبط بضممتين جمع مثال يعني ان
يعتني بتصوير المعاني اكثر من عنايته بالقول والايضاح بالامثلة .

وقوله « وسومها » بواو في اوله وهو جمع وسم وهو العلامة
أي جعلوا علامة على فضيلة تلك المعاني ان تكون قريبة التشبيه .

وقوله « من غير تفاوت يظهر في خلال اطباقها ولا قصور ينبع

من اثناء اعماقها »

الاطباق بفتح الهمزة جمع طَبَق بفتححتين وقد تقدم في شرح

قوله « لا يطابقه » و اراد بالتفاوت تفاوت الافادة في ذلك التصوير
بين ما يفيد بعض فقر الكلام ويفيده بعض آخر ، اي بان تكون
المعاني متوازنة فلا يوضع المعنى الشريف بازاء المعنى السخيف
والقصور العجز عن الوصول الى ما حقه ان يصل اليه وهو مشتق
من قَصَرَ القامة اي قلة الامتداد في الاشياء بما يقتضيه كمال انواعها .

وشبه القصور الظاهر أثره بقاء نابع بجامع الظهور واثبت له النبع على طريقة الاستعارة المكنية وهو من تشبيه المعلوم المتخيل بالموجود مثل تشبيه اللؤم في بيت حسان :

لو ان اللؤم صور كان عبداً قبيح الوجه اعور من ثقيف
ومناسبة الاعماق للنبع ظاهرة فتكون ترشيحاً للاستعارة .
واراد بالمبتسمة انها تنكشف عما تحجبه كشفاً حسناً كما يكشف
الابتسام عن محاسن الثغر ومثاني الالفاظ هي التراكيب لان
الكلمات تنفي فيها اي تكرر ومنه سميت سورة الفاتحة المثاني .

و « الاستشفاف » هو نظر المتأمل وفي احدى النسختين
التونسييتين الاستسعاف أي طلب الاسعاف أي قضاء المطلوب فعلى
هذه النسخة يكون الابتسام تمثيلاً بحالة سرور الكريم عند ملاقة
العفاة كما قال الشاعر :

تراه اذا ما جئته منهلاً ... البيت.

والاحتجاب تمثيل للمعاني بالنسوة يخرجين ممن قد يستخف
بهن في مواقع صونهن يقال لدى الامتحان اي لدي ارادة الامتحان .
واما قوله « تعطيك » وادك « فهو تمثيل آخر مثل فيه المعاني بالناقاة
الكريمة لا تدر الا بالإبساس اي برفق الحالب بها فاذا رفق بها
مكنته ودرت وان اشتد عليها منعت . قال بشار : والدرُّ يمنعه جفناه

الحالب « فهذه مناسب المعاني لطلابها وتلك مناصب الالفاظ
لاربابها » .

الاشارة بهذه الى الصفات المذكورة قريباً وتلك اشارة للبعيد
وهو الصفات المذكورة سالفاً لانها بُعد ذكرها .

والمناسب بفتح الميم جمع مَنَسَب بفتح الميم وفتح السين وهو
مصدر ميمي لنسبه ينسبه اذا ذكر نسبه وغالب اطلاق ذلك في ذكر
الانساب الشريفة اي فهذه الصفات التي ذكرتها قريباً هي صفات
المعاني الشريفة الاصيله فهي المعاني كالانساب للناس فمن طلب
المعاني الشريفة فليتوخ منها الصفات التي ذكرتها .

والمناصب جمع مَنْصِب بفتح الميم وكسر الصاد وهو مكان
النَّصَب اي رفع الشيء واظهاره ومنصب المرء شرفه ورفعت به اي
الصفات التي ذكرتها سالفاً هي مظان شرف الالفاظ فمن كان من
ارباب الالفاظ اي المعتنين بها فليبحث عن انطباق تلك الاوصاف
عليها . وبين المناسب والمناصب في كلامه الجناس المحرّف .

« ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعانقا .
وتلابسامتظاهرين في الاشتراف وتوافقا . فهناك يلتقي ثريا البلاغة
فيمطر روضها . وينشر وتيها . ويتجلى البيان فصيح اللسان
نجيح البرهان . وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لهما من
المسموع والمعقول ، بالمسرح الخصب والمكروع العذب » .

تخلص المرزوقي في هذا الكلام الى مقام الحكم بين مذهب
اهل الالفاظ ومذهب اهل المعاني فيبين انه لا يتم للكلام حسنه
وبلاغته الا باجماع شرف لفظه وشرف معانيه .

واعتراف اللفظ والمعنى هو توافقهما وتآلفهما كالشخصين اللذين
يعرف احدهما الآخر ويألفه .

تصوب تظير والصوب المطر ويقال صَوَّبَ المزن اي ماء
السحاب ؛ شبه العقول المختارة للالفاظ والمنظمة للمعاني بالاسحابة
وشبه ما تأتي به من محاسن الالفاظ وشريف المعاني بالمطر واثبت
الصوب للعقول على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة
تبعية وهذه الاستعارة مأخوذة من قول ابي تمام في وصف الشعر :
ولكنه صوب العقول اذا انقضت سحابٌ منه أعقبت بسحاب

وقد أتبع المؤلف استعارته هذه بتمثيل بناء عليها فشبه هيئة
انهيال الصنائع البليغة الرائقة من آثار اهل البلاغة نثراً ونظماً ،
وتلقي السامعين اياها ، واهتزاز ادواقهم لقبولها ، واقبالهم على
الاختيار منها على حسب الازواق ، بهيئة عروض السحاب في اغزر
الأنواء افاضة وهو نوء منزلة الثريا فتغزر مُعَصِرَاتُهَا وتنتشر آثارها
بين الأدباء كانتشار وشي الزرع في الرياض النضرة فتصبح الادباء

تفسر دقائقها للطلاب كما تبشر رُؤادُ المراعي رعاء الحي بالمسارح
الخصبة والمكارع العذبة ، فذكر هنا الهيئة المشبه بها ، وقد اشار الى
الهيئة المشبهة بقوله عقب هذا : « ولتعرف مواطىء اقدم المختارين
فيما اختاروه ومراسم اقلام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم ايضاً فرق
ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأتيّ السمع على الأبيّ الصعب »
ولقد اجاد التمثيل . فاصبح كلامه لقواعد الادب خير تمثيل .
وقوله « في الاشتراف » بقاء في آخره اي الارتفاع فيكون شبه
الرفعة المعنوية برفعة السحاب اذا اخذ يتصاعد ، وينضم بعضه الى
بعض . ووقع في احدي النسختين التونسييتين الاشتراق بقاف في
آخره ولا يستقيم .

وقوله : « تلقتي ثريا البلاغة » هكذا في النسخ . وصيغة الالتقاء
تقتضي ملاقة شيئين وليس في عبارة المؤلف سوي الثريا فالظاهر ان
صواب العبارة يلقى بالثناة التحتية المفتوحة وفتح القاف والضمير
عائد الى ما تصوب به العقول . والمعنى : فهنالك يقع ذلك الصوب في
منزلة الثريا فيلقاها فيغزر مطره . ويجوز ان يكون الالتقاء بمعنى
التلقي مبالغة ، والثريا من الانواء الوسمية اي الربيعية اي التي
يكثر الامطار في زمان طلوعها في بلاد العرب ، والمطر الربعي يضرب
المثل بشدته ؛ قال النابغة :

وكانت لهم ربيّةً يحذرونها

إذا خضخت ماء السماء القبائل^(١)

« وإذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم، اتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها وتكاثر أسبابها ومَوَاتِيهَا؛ وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بان كان حده لفظ موزون مقفى يدل على معنى. فازدادت صفاته التي احاط الحد بها بما انضم من الوزن والتقفية إليها - ازدادت الكلف في شرائط الاختيار فيه لان للوزن والتقفية احكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف او تقارب. وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح لتلايحتل لهما اصل من اصولهما او يعتل فرع من فروعها ». تقدم ان المؤلف جلب كلام ابي الحسن بن طباطبا في مزية الشعر استدلالاً به على مراعاة جانب اللفظ في معيار النقد ولأن ما ذكره ابو الحسن في الشعر يجري بعينه في النثر.

الموات بتشديد المثناة الوسائل جمع مائة وهي الوسيلة الى الشيء لانها تمت اليه اي تمد وتتوسل، يقال: مت بقراءة اي اتصل وتوسل؛ ومعنى كلام المؤلف ظاهر، وجواب اذا قوله « ازدادت

(١) القبائل قبائل الخيل جمع قبيلة وهي من اربعين من الخيل الى ستين.

الكاف الخ » .

« واذا كان الامر على هذا فالواجب ان يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب لتمييز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطء اقسام المختارين فيما اختاروه ومراسم اقلام المزيين على ما زيفوه ، ويعلم ايضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع » .

تخلص هنا الى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هذه المقدمة ، ولذلك سيقول فيما يأتي « فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر » . وقد نبهنا آنفاً على ان هذه الفقرات تشير الى الهيئة المشبهة بهيئة السحاب والمطر والنبت في قوله آنفاً « فهناك يلقي ثريا البلاغة فيمطر روضها الخ .. »

والمصنوع هو الشعر الذي ادخل فيه ما يسمى عند اهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتنقيح للشعر وابداع المحاسن البديعية واللطائف اللفظية ، فكان علم اصحابه مكتسباً بالصنعة ، اي ان يعمدوا الى القواعد والنكت وصور الامثلة التي تلقوها بالتعلم فيراعوها في منشآتهم بالتروي والتثقيف ، فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد ؛ وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون عمد ولا تكاف ، وهو الغالب من شعر المولدين . قال ابن رشيق ^(١) :

(١) س ٨٥ من العمدة طبع مطبعة أمين هندية بمصر .

« أشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز » .

والمطبوع هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن تدربه بسماع اشعار البلغاء واندفاع طبيعته لحماكة اشعارهم حتى يصير الشعر البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تعمق روية ولا معاودة تنقيح و تثقيف .

« وفضيلة الأبيّ السّمع على الأبيّ الصّعب » .

تقدم بيان معنى الأبيّ والأبيّ في تفسير اول الديباجة ووصفها هنالك بالمستسهل والمستنكر ووصفها هنا بالسمح والصعب، والسمح صفة وهي لين الاخلاق وحسن المعاملة ؛ والصعب صفة من الصعوبة وهي الشدة في الخلق (فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته) .

ضمير انهم مراد به الشعراء وان لم يذكر معاد ، بناء على انه معلوم من سياق الكلام المذكور على الشعر ، وهذا هو المناسب للإخبار عن الضمير بفعل يحاولون . ويجوز ان يعود الضمير الى نقاد الكلام المذكور في قوله : « اعلم ان مذاهب نقاد الكلام » الخ . وقد كنا وعدناك ايها الناظر عند قول المرزوقي آتفاً — وهم اصحاب المعاني — بان نبين المراد بالمعنى فهذا اوان ان نبينه .

اعلم ان الشيخ عبد القاهر قال في دلائل الاعجاز ^(١) : « ان قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض ، الذي اراد المتكلم ان يبينه او ينفيه نحو ان نقصد تشبيه الرجل بالاسد فنقول : زيد كالأسد ، ثم نريد هذا المعنى بعينه فنقول : كأن زيدا الأسد ، فتفيد تشبيهه ايضاً بالأسد . الا انك تريد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول ، وهي ان تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وانه لا يروعه بشيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم انه اسد في صورة آدمي » .

ثم قال ^(٢) : « الكلام على ضربين ، ضرب انت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك اذا قصدت ان تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيد ، وضرب آخر لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض : ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل » .
ثم قال عقب ذلك : « واذا عرفت هذه الجملة فهنا عبارة مختصرة وهي ان تقول المعنى ومعنى المعنى : تعني بالمعنى ، المفهوم من ظاهر

(١) صفحة ١٨٦ طبع مطبعة المنار

(٢) صفحة ١٨٩

اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة، و**معنى المعنى** ان تعقل من اللفظ ثم يقضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر كالذي فسرت لك .

ثم قال ^(١): **فالمعاني الاول والمفهومة** من انفس الالفاظ .
والمعاني الثواني التي يوماً اليها بتلك المعاني الاول . فهذا كلام الشيخ تمييزاً بين المراد بالمعنى . ثم ان علماء المعاني قفوا عليه بما يزيد بياناً ويعصم التأمل عن اختلاط المقصود بكلمة معنى في مختلف اطلاقها مما افاده السكاكي في المفتاح وشارحو كلامه من ان المعنى الذى يجيش في نفوس البلغاء ثلاثة اقسام : - قسم - سموه اصل المعنى وهو الاغراض الجملة التي يراد افادتها من خبر او انشاء ؛ وهذا المعنى هو الذي يفاد بكلام بسيط، وهذا يجيش في نفوس الناس من الخاصة والعامة وليس هو موضوع الاختلاف . - وقسم - سموه معنى اول وهو الاغراض الخاصة التي يقصدها البلغاء لنسكتة مثل رد الانكار - وقسم - سموه معنى ثانياً ويقال له معنى المعنى ، وهو الخواص الكلامية التي تفيد كيفيات في المعاني الأول ، مثل القصر والاستغراق والكناية والمبالغة ، وهذا خاص ببلغاء الكلام العربي :

فاذا اعلمت هذا فنرجع الى بيان كلام المؤلف . **المحاولة** ابتغاء

(١) صفحة ١٩١ دلائل الاعجاز

الشيء وتطلبه . **والشرف** حصول صفات الكمال النوعي في بعض افراده فشرف المعنى ان يكون من احسن المعاني المستفادة من الكلام بان يتلقى فهم السامع المعنى مستغنياً به في استفادة الغرض الذي يفاد به . وقد وصف المؤلف المعنى هنا بالشرف والصحة ووصفه فيما تقدم بالمعجبة الجزلة العذبة الحكيمة الزاهرة الفاخرة . وطريقة صوغ المعنى الشريف هي ان يلحظ البليغ ما يحش في نفسه مما يريد ابلاغه الى نفس السامع فينشئه في نفسه ويكفيه باحسن صورة يرى انها تقع لدى السامعين موقِعاً حسناً يقبي بمراد الشاعر ويليق بالغرض الشعري معتمداً في تحصيل تلك الكيفية على فطنته ودربته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من محاسن البلغاء والحكماء والعلماء فاكسب ذوقه صوراً غير جزئية يقبس عليها امثالها اذا اراد التعبير بابتكار مماثلات لها جديدة ، او بتصرف فيها يغيرها عن حالتها السابقة ، تصرفاً كثيراً او قليلاً، ويندفع اليها ذهنه سريعاً . ومن اكبر اسباب شرف المعنى ان يكون مبتكراً غير مسبوق، ثم ان يكون بعضه مبتكراً وبعضه مسبوqاً؛ و بمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقة يدنو من الشرف . ولبشار وابي تمام وابي الطيب ابتكارات كثيرة ، ويقرب من ذلك ابو نواس وابن الرومي ثم المعري .

فاذا انشأ ذوق البليغ معنى لاحت له منه محاسن المعنى ونقائضه
ومعائبه ، فاحتفظ بالمحسن واكمله عن النقائص ومحا عنه المعائب .
فاذا تقوم فيه ما من شأنه ان يفي بامله من ارضاء السامعين من اهل
الصناعة وامتلاك استحسانهم فرآه محو كماً على منوال ما يحو ك على
مثله البلاء فيما انتهت اليه مزوالته ودربته وثق بأنه معنى شريف ،
فعلم ان شروط شرف المعاني تختلف باختلاف محالها من اغراض
الكلام : من اثاره حماس او استعطاف وابساس او غزل او نسيب
او فخر او ذب عن شرف او نحو ذلك . قال ابن الاثير في المثل
السائر « ان الكاتب او الشاعر ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط
لها ما يناسبها من الغائب » .

وهذا عمل محتاج الى صفاء قريحة وكرم سجية وطول درية
وحسن اقتداء وتمييز بين المقبول والمرفوض . وقد ذكر ابن الاثير في
المثل السائر^(١) من المعنى الشريف قول ابي الطيب :

تلذ له المروءة وهي توذي ومن يعشق يلذ له الغرام
لولا لفظة توذي فيه فانها توذي . ولا يتوهم من كلام ابن الاثير
ولا من مادة شريف ان شرط المعنى الشريف كونه من الفضائل
او المعاني الحميدة ، فانه لو كان ذلك مرادهم لذعب معظم النسيب

والهجاء ، ولذهب ما كان من الشعر كذبا - بل مرادهم ما افصح عنه .
 قدامة في نقد الشعر^(١) اذ يقول : ان مناقضة الشاعر نفسه في
 قصيدتين او كلمتين بان يصف شيئا وصفاً حسناً ثم يذمه بعد
 ذلك ذمّاً حسناً غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، بل ذلك يدل
 على قوة الشاعر واقتداره على صناعته . وانما قدمت هذا لما وجدت
 قوماً يعيرون قول امرئ القيس :

تملك جلي قد طرقت ومرضع فلهينها عن ذي تمائم محول
 اذا ما بكى من خلفها التفتت له بشق وتحتي شقها لم يحول
 وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه - اهـ .

واما صحة المعنى في كلام المؤلف فهي الدرجة الاولى للصعود
 في مصاعد الشرف ، اي ان لا يكون في المعنى اضطراب او سوء
 ترتيب او انتقاض بعضه ببعض ، فيصير الإنشاء او الترسل اجوف ؛
 قال ابن رشيق : « وفرقة من الشعراء اصحاب جلبة وقععة بلا طائل
 معنى الا قليلاً كابي القاسم ابن هاني في قوله اول مذهبه :

اقامت فقالت وقع اجرد شيطم وشامت فقالت لمع ايض مخذم
 وما ذعرت الاجرس حليها ولا رمقت الابرى في مخذم
 فليس تحت هذين البيتين الا ان هذه المنسب بها لبست حليها

(١) صفحة ٤ - ٥ ، طبع الجوانب

فتوهمته بعد الاصاححة وقع فرس او لمع سيف» - اه . على ان في قوله « شامت » خطأ لأن الشيم هو النظر الى البرق ليعلم اين يذهب ويتوسم اين يمطر .

واعلم ان ضد المعنى الشريف المعنى السخيف لقلة جدواه او لدلالته على تعلق تفكير صاحبه بصور ضعيفة كما خطب والي باليامة في موعظة فقال « ان الله لا يقارن عباده على المعاصي ، وقد اهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » فلقبوه : مقوم الناقة . ومن المعاني السخيفة قول نُصَيْب :

أهيمُ بدعد ما حبيت فان امت فياليت شعري من يهيم بها بعدي
وقد عابته سُكينة ابنة الحسين . وضد المعنى الصحيح المعنى المحطىء
والختل ، كما قال شعورور فيما انشده الراغب الاصفهاني :

ازبيدة ابنة جعفر طوبى لزاثيرك المُثاب
تُعطينَ من رجليك ما تُعطي الأكَفُ من الرُّغَابِ

فانه انشده بحضرتها فقام اليه الخدم ليضربوه لكرهاته
قوله : « تعطين من رجليك » فمنعتهم وقالت : انه قصد مدحاً واراد
ما يقول الناس : شمالك اجودُ من يمينه ⁽¹⁾ ، فظن انه اذا ذكر

(1) تشير الى نحو قول النابغة خاطبا عمرو بن الحارث النضائي ملك الشام ومفضلا له على النعمان بن المنذر الازهمي ملك الحيرة - كتاب الاغانى - « فوالله لهما لك خير من يمينه ولقفاك خير من وجهه الخ » .

الرجل كان البليغ، وقد حمدنا ما نواه، وان اساء فيما أتاه .
ومن عجيب ما عرض للشعراء من سخييف المعنى مسا عرض
لابي العتاهية من قوله في رثاء الخليفة :

مات الخليفة ايها الثقلان فكأنني افطرت في رمضان
فان المصراع الثاني من سخييف المعنى، وان بينه وبين المصراع
الاول بونا بعيداً . وقد نظرت في مجموع شرف المعنى وصحته
وكيف يكتسبه البليغ فرأيت ان يقتدي مرديد الاجادة بالذين شهد
لهم البلاء، بالاجادة في غرض من اغراض المعاني فينسخ على منواله،
فاذا رام اثاره حماس جمع في ذهنه ما بلائم حالة الاستصراخ
وامتباطاء النصير . وتخييل المسند نجد هضم الجانب ذا جناح لسير .
فاجتهد ان يكثر من المعاني التي من شأنها اثاره حمية المحاطب واقتداره،
وعلى هذا المنوال ينسخ . ومن صور صحة المعنى ان يكون مطابقاً
للوواقع كما قال حسان :

وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا
ولكن ذلك ليس بشرط على الاطلاق وخاءة في الشعر، فإن
الشعر يبني على المغالطة والخيال، وهذا الشأن يختلف باختلاف
الاغراض والمقامات، فلذلك غرض من اغراض الكلام ما يناسبه
من صحة المعنى في بابه؛ وللتدبر مناسبات ليست للشعر وبالعكس .

وسياتى المؤلف ذكر الخلاف في ان احسن الشعر اصدقه او
اكذبه او أقصده . ولما كان الخوض في صحة المعنى هنا وفيما يأتى
متوقفاً على معرفة المراد من المعنى وجب ان نبين ما هو المعنى وما
هي اقسامه عند أمة البلاغة وهو المبحث الذي وعدنا به عند شرح قول
المرزوقي « ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره... الخ » قال
« **وجزالة اللفظ واستقامته** »

كثرت في كلام أمة النقد وصناعة الانشاء والشعر ذكر وصف
الجزالة في محاسن الالفاظ ، وقد عدها المؤلف في محاسن المعاني ، ايضاً
اذ قال « فطلبوا المعاني المعجبة من خواص اما كتبها وانزعوها
جزالة عذبة » ...

ولم ار منهم من افصح عن مقومات هذا الوصف وشرائط
حصولها ، وأنا ابذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا
الوصف ، واقدم ما هو منه وصف للفظ ثم أتبعه بما هو منه وصف
للمعنى على سبيل الاستطراد واكمالاً للفائدة .

فاما الجزالة فهي وصف للفظ مأخوذ من صفات الناس ؛ اذ
الجزالة في الانسان هي جودة رأيه وكمال عقله ؛ فيها يكون الانسان
كامل الإنسانية . وهي في اللفظ عرقها ابن مكرم في لسان العرب فقال
« الكلام الجزل القوي الشديد واللفظ الجزل خلاف الركيك » والركيك

هو الضعيف .

وظاهر ان مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب او المفرد لا الى
مبناه وصورته ، فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا
غرابية الكلمة .

فلما تطلب حقيقة الجزالة عند أمة النقد و نَتَقَصَّاهَا مِنْ آثَارِ
كَلِمَاتِهِمْ ، وَنَعَرَفْنَا مِنْ تَعْرِفٍ ضَدَّهَا الَّذِي يَقَابِلُونَهَا بِهِ . فابن رشيق في
العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفاً يظهر منه انه اراد به
التفسير ؛ قال ^(١) : منهم قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على
مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار :

اِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ اَوْ قَطَرَتْ دَمًا
وَقَالَ ^(٢) : وشبه قوم ابانواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة
مع الرشاقة . ووصف عبد القاهر الجزالة فقال ^(٣) : « من البراعة
والجزالة وشبهها مما ينبيء عن شرف النظم » .

وقال ^(٤) عند ذكر النظم « ان تقتفي في نظم الكلم آثار
المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس » و ذكر ابن
شرف القيرواني في رسالة الانتقاد الجزالة فقال عند ذكر لبيد « شعره

(١) صفحة ٨٠ من الكتاب المذكور

(٢) صفحة ٨٥ من نفس الكتاب

(٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الاعجاز طبع مطبعة المنار

(٤) صفحة ٣٩ من الكتاب المذكور

ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصاله . فلا تسمع الا كلاماً
فصيحاً ومعنى مبيناً صريحاً^(١)

وقال في ابن هاني الاندلسي « الا انه اذا ظهرت معانيه . في
جزالة مبيانيه . رمى عن منجنيق يؤثر في النيق » .^(٢) فجعل الجزالة
وصفا للمباني اي الالفاظ . وقال ابن الاثير في المثل السائر في المقالة
الاولى في الصناعة اللفظية^(٣) « قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي
بيت فجاءت في القرآن جزالة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فائر
التركيب في هذين الوصفين الضدين . اما الآية فقولته تعالى : ان ذالكم
كان يؤذي النبي . واما البيت فقول ابي الطيب :

تساذ له المروءة وهي تؤذي ومن بعشق يساذله الغرام
وقال ابو البقاء السكبوي في كلياته « الجزالة اذا اطالمت على
اللفظ يراد بها نقيض الرقة » اه . وقلت قد رأيتهم يقابلون الجزالة
مرة بالرقة ومرة بالركاكة ومرة بالضعف ومرة بالسكرامة فتحصل
لنا من معنى الجزالة انها كون الالفاظ التي يأتي بها البليغ الكاتب
او الشاعر الفاظاً متعارفة في استعمال الادباء والبلغاء سالمة من ضعف

-
- (١) صفحة ٢٤٤ من مجموعة رسائل البلقاء نشر الاستاذ محمد كرد هلي
طبع الباني بمصر سنة ١٣٣١
(٢) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة
(٣) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢

المعنى ومن أثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في
السمع عند النطق بالكامة أو بالكلام. فهذه الجزالة صفة مدح وقد
مثلوا المركاكة بقول بعضهم:

يا عتب سيدي أما لك دينٌ حتى متى قلبي لديك رهين
فانا الصبور لكل ما حملتني وأنا الشقي البأس المسكين
وفيه ركاكة من جهات: منها كون المعنى اجوف دأراً بين
جميع العامة، وكون جمل الألفاظ مرذولاً وذكر البأس والمسكين بعد
الشقي، وفي الشقي ما يغني عنها. ومن الركاكة قول الخوارزمي
يخاطب بديع الزمان الهمذاني:

وإذا قرّضت الشعر في ميدانه

لا شك أنك يا أخي تشفق^(١)

فقوله في ميدانه لا موقع له، وقوله يا أخي لا مقام له، لأن
الكلام في مقام مناظرة ومشادة

وإذا قابلوا الجزالة بالركة فأما يريدون بها نسيج الكلام على
مموال القدماء في الشدة والقوة نسج السامي في مدح الرشيد:
وعلى عدوئك يا بن عم محمد رصدان: ضوء الشمس والإظلام
فاذا تميّه رعتّه وإذا غفّا سلّت عليه سيوفك الأحلام

(١) مناظر ترمع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجواب بالاستانة

و يريدون بالرقعة نسجه على منوال المحدثين في اللين والظرف،
واظهر مثال جمع هذين الرصنين قول جميل :
الا ايها النّوَامُ ويحكم هُبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الصُبُّ
قال بعض أئمة الادب «هذا البيت اوله اعرابي في شملته وآخره
مخنث من مخنثي العقيق بتفكك»

الاترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو
قال افديكم لاعتراض عن الجزالة بالرقعة — وقد تقال الجزالة في هذا
الاطلاق على الكلام الذي يصدر في اغراض تناسبها الشدة كالرثاء
والحماسة وتقال الرقعة على كلام في اغراض يناسبها اللين والمطافاة
كالنسيب والزهرات والمُلاح . والجزالة في هذا كله من صفات
الالفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص
في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتمثيل
وتشبيه وكناية وانواع البديع . واما المعاني الوضعية فتأتي بطبع
سياق الكلام وتأتي الالفاظ تبعاً للمعاني .

واما استقامة اللفظ فهي وصف نسبي يعرض للفظ في حين
انتظامه في الكلام فان للالفاظ معاني موضوعة ، ولها معانٍ كثر
استعمالها فيها ، ولها معانٍ يستعملها المتكلم فيها على وجه المجاز او
الاستعارة او الكناية او نحو ذلك . فاستقامة اللفظ هي وفاءه بالمراد

الذي استعمله فيه البليغ دون خطأ ولا تقصير ولا غموض . فمن الاستقامة السلامة من التعقيد المعنوي او السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ : اما لقصور في معرفة اللغة واما لغفلة كاستعمال اللفظ الدال على الاعم في حين ارادة الأخص . وفي بعض هذا المقصد ألفت الكتب المنبهة على اخطاء الخاصة مثل ذرة الغواص للحريزي ، ومثل مباحث من كتاب ادب الكتاب لابن قتيبة وقد اشار المؤلف الى هذا بقوله الآتي «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال — وقوله — وهذا في مفرداته وجملته مراعى »

(والاصابة في الوصف) المراد بالوصف معناه المصدرى وهو

التصوير والايضاح قال تعالى « وتصف السنتهم الكذب » وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال لأن ذلك أخص من المقصود هنا . فاصابة الوصف هي ان يصوّر المتكلم ما اراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير انعكاس ولا انتقاص . وضد اصابة الوصف الخطأ فيه كلاً وهو الغلط ، او بعضاً وهو العيب اى عيب النقص في التوصيف . والشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكاتب لأن الشاعر يكتر منه تخيل المعاني عن غير مشاهدة فربما اخطأ في تخيله اشياء لم يعتد الاحاطة بصفتها او خفي عنه بعض ما يدق من مشاهدته اياها . وقد عُدَّ

بشار بن برد من اعجوبات الشعراء اذ كان مع عمه لا يكاد يخطئ ،
 في الاوصاف الدقيقة ، وحسبك بيته المشهور :
 كأن مئثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلتها وهي كواكبها
 (ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال
 وشوارد الايات) اي ان ما استوفى من النثر والشعر هذه
 الاسباب الثلاثة ، فيه توجد الامثال السائرة والايات الشاردة ،
 فكثرت في المأثر الأدبية في الجاهليين والمولدين ، فالامثال موجودة
 في الشعر بان يكون المصراع او جزء منه سائر مثلا كقول ابي اخزم
 الطائي : شنشنة اعرفها من اخزم . وقبله :

ان بني رملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم
 وقول بشر بن ابي حازم « احق الخليل بالركض المعاز » من
 ابيات انظرها في مجمع الأمثال في باب الحاء .. واما ما كان بيتاً كاملاً
 يتمثل به الأدباء فذلك لا يسمى مثلاً وإنما يسمى تمثلاً . والامثال
 في النثر كثيرة أيضاً في كلام البلغاء واهمها امثال القرءان نحو قوله
 «ولا يثبتك مثل خبير»

ومن الأمثال ما لم يقع في اثناء كلام ولكن اصحابها من البلغاء
 نطقوا بها منفردة وهي معظم امثال العرب التي جمعها الميداني في
 كتابه مجمع الأمثال، ومن قبله الزمخشري في كتابه مستقصى الأمثال.

ومعنى السائرة الناشئة بين أهل اللسان فُشبهه الفشو بالثقل في
امكنة كثيرة بجماع تكرر عروضها للاسراع كتكرار عروض الشخص
في اماكن كثيرة وهو السير. وفي الكشف « ولم يضربوا مثلاً ولا
رأوه اهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة
من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وُحِمى من التغيير» . وأراد
بالغرابة انه قول زائد على المعناد لخصائص فيه من دقيق المعاني
وخفة اللفظ مع وفرة المعنى .

واما شوارد الأبيات فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صحة المعنى
وجزالة اللفظ واصابة المعنى المقاد منها؛ واطلق المؤلف عليها وصف
الشوارد لعزة هذا النوع، فُشبهه بالوحش الشارد في حال كونه مطلوباً
مرغوباً فيه لقانصه وعسير الوقوع في يده. فتلك العزة مع شدة الرغبة
هي وجه الشبه فاستعار لها الشرود تمثيلاً للحالة . واما جعل
المؤلف قوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات هو اجتماع هذه
الأسباب الثلاثة دون سبب مقارنة التشبيه ومناسبة الاستعارة لأن
كثيراً من الأمثال والأبيات خلو من التشبيه والاستعارة كمثل قوله
«لأمر ما جدع قصير انفه» . وبيت امرئ القيس « قفا نيك من
ذكري حبيب ومنزل... البيت » وقول المؤلف «سوائر وشوارد» اراد
جمع سائر وشارد غير ان المثل والبيت مذكران فجمعه على وزن

فواعل إما على تأويل المثل والبيت بمعنى الكلمة واما على وجه الشذوذ كما قالوا فوارس وعواذل .

(والمقاربة في التشبيه) عطف على قوله والاصابة في الوصف .

المقاربة القرب الشديد لان صيغة المفاعلة فيه للمبالغة اذ ليس المراد قرب كل من طرفي التشبيه من الآخر في الوصف فان التشبيه الحاق ناقص بكامل في وصف ، واما ما يسمى بالتشابه كالذي في قول ابي اسحاق الصابيء :

تَشَابَهَ دَمْعِي اذ جَرَى وَمَدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَاسِ عَيْنِي تَسْكَبُ
فذلك غلو في التشبيه ، يقرب من التشبيه المقلوب كما في قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وَجَهُ الخليفة حين يُمْتَدَحُ
قال قدامة في نقد الشعر « فأحسن التشبيه ما وقع بين شيئين حتى يدني بهما الى الاتحاد اهـ » . وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه بحيث يستغني المشبه عن ذكر وجه الشبه . وليس المراد بالمقاربة تمام الماثلة بين المشبه والمشبه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه . ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراك فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به لكون المشبه اعلى من ذلك كما قال المعري :

تنازعَ فيكَ الشَّبَهَ بحرًا وِدِيَّةً ولستُ الى ما يزعمون بمائل
 اذا قيل بحر فهو ملح مُكدَّر وانتَ نَمير الجود حلو السائل
 ولستَ بغيث فوكٍ للدر معدن ولم يُلَفْ دُرٌ في الغيوث الهواطل
 والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف ما كان باداة شَبَه او كان
 تشبيهاً بليغاً لأنه عند المحققين من نوع التشبيه لا من الاستعارة .
 واما الاستعارة فسيخصها بالذكر .

(والتحام أجزاء النظم والتماها ، على تحيُّر من لذيد
 الوزن) قال الجاحظ ^(١) « اجود الشعر ما رأيتُه متلائم الاجزاء
 سهل الخارج فتعلم بذلك انه افرغ افراناً واحداً اه » .

والالتحام مطاوع لَحَمَ الثوبَ يلحمه اذا نسج لُحْمته بضم
 اللام ويفتحة وهي ما يثني به الحائك نسج الثوب فيجعله اعلى فوق
 السدى الذي هو اسفل النسج ، وفي الحديث « الولاء لُحمة كلحمة
 الثوب » كذا في رواية ، فالالتحام ان تكون الكلمات بعد
 نظمها كالشيء الواحد . واجزاء النظم كلماته .

والالتحام مطاوع لاءمه اذا جعاه متلائم الاجزاء اي متناسبها
 بان تكون كلمات النظم متناسبة بحيث لا يكون في النطق بها
 بعد اجتماعها ما يثقل على اللسان ؛ فإن الكلمة قد تكون في ذاتها

(١) انظر العمدة ص ١٧١ جزء اول

غير ثقيلة فاذا ضمت اى غيرهما سادما وتلوا على اللسان ثقلاً
لا يتمكن اللسان من تخفيفه ، ومثاله المشهور في بحث الفصاحة قول
من لا يُعْرَف — وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبِ قَبْرِ — وقول ابي تمام
كريم متى أمدَحَه أمدَحَه والورى معي

واذا ما لمتَه لمتَه وحدي

وانما قلت لا يتمكن من تخفيفه احترازاً من نحو قول البحترى : أفأق
صَبُّ من هوى فأفريقاً فان اجتماع الهمزتين ثقيل يمكن التخلص من
ثقله بتسهيل احدى الهمزتين .

وقول المؤلف : « على تخير من لذيد الوزن » « على » فيه معنى

مع ، واراد بالوزن وزن الشعر وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح
العرويين وما فيه من اعاريض وضروب . وقد بين المؤلف فيما
يأتي من كلامه هذا القيد بقوله « وانما قلنا على تخير من لذيد الوزن
لان لذيدَه يطرب الطبع لا يقاعه ويمارجه بصنائه كما يطرب الفهم
لصواب تركيبه واعتدال نظومه » . وكان المؤلف يشير الى امرين
احدهما مزية الشعر العربي باشتراط العرب الوزن فيه بحيث لا
يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص . وثانيهما الاشارة
الى تجنب الاعاريض والضروب الثقيلة والزحاف والعللة الجائزين
المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزان ، فيصير
كالعثار في السير او كالكلام المقطع تنفأً غير متماثلة . وقد يحصل

من تجمع الكثير من ذلك ما يوشك ان يخرج الشعر من كونه شعراً الى كونه نثراً كما في ابيات من مجهرة عبيد بن الأبرص التي أولها:
عينك دمعها سرور كأن شأنيها شعيب

وقد قرن المؤلف تخيير لذيذ الوزن بالتحام الأجزاء والتأملها لأنها من واد واحد ، على ان بعض العروض في بعض الموازين لا يخلو من ثقل ، مثل الضرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح ^(١) .
وبعضها من بعض العروض يكون اشبه بالسجع منه بالشعر مثل عروض المجتث المكثوف ^(٢) وهي قذبة وامثلة ما استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرة وان شئت فانظر شعر عمر بن ابي ربيعة كقوله :

أمن آل نعمانت غاد فمبكر غداة غدام رائح فمبهر
(ومناسبة المستعار منه للاستعار له)

المناسبة شدة الاتساق و اراد بها قوة المشابهة وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدمجها في شرط مقاربة التشبيه مع ان الاستعارة من قبيل التشبيه ، لان التشبيه الحاق صاحب وصف غير بين وصفه بصاحب وصف مشتهر به بواسطة حرف يدل

(١) هو مستعملن مفعولات مستعملن مستعملن مفعولات مفعولن .

(٢) كقوله : ما كان عطاؤهن الا عدة ضارا

على ذلك ظاهر او مقدر . واما الاستعارة فهي ادعاء ان صاحب وصف من نوع غير مشهور به الوصف قد صار فرداً من نوع مشهور بذلك الوصف بحيث استحق ان يطلق عليه اسم ذلك النوع المشهور بالوصف . فالاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وعلى ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار منه فكانت لذلك جديرة بتام المشابهة والمناسبة بين المستعار له والمستعار منه . ولما كانت الاستعارة تنفرع الى مصرحة وممكنة وتخيلية وتمثيلية ، وكان منها اصلية وتبعية ومنها مرشحة ومجردة ومطلقة ، كانت دقة التشبيه فيها احق واولى من مطلق التشبيه ليحسن وقع كل قسم من هؤلاء في موقعه . قال في دلائل الاعجاز (١) « واما الاستعارة فاسبب ما ترى لها من المزية انك اذا قلت رأيت اسداً كنت قد تلطفت لما اردت اثباته له من فرط الشجاعة ، وذلك انه اذا كان اسداً فواجب ان تكون له تلك الشجاعة العظيمة؛ واذا صرحت بالتشبيه فقلت: رأيت رجلاً كالاسد كنت قد اثبتتها اثبات الشيء يترجح ان يكون وبين ان لا يكون اهـ.» ومن مراعاة المناسبة بين المستعار له والمستعار منه كان حقاً ان لا يغفل الشاعر عن استعارته فينقضها كقول ابي تمام :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حَمَلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَيُّ عَيْبِهِ أَثْقَلَ

فانه لما جعل الدهر بمنزلة الانسان المفكر كان عليه ان لا ينقض ذلك بان يجعل لتفكيره مدة يسميها دهرأ فتصير مدته هي عينه .

(ومشاكلة اللفظ للمعنى) المشاكلة الماثلة ، اذ الشكل الشبه والمثل . واراد بالمعنى هذا الغرض المقاد بالفاظ التركيب لا المعنى الموضوع له اللفظ لان المعنى الموضوع له لا يتصور في اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد ان الغرض الشريف تناسبه الالفاظ الموضوعه لمعان حميدة ، وان الغرض الخسيس تناسبه الالفاظ الموضوعه للمعاني الخسيصة سواء كانت المعاني حقيقية ام كانت مجازية ومستعارة : فمقام المديح والرثاء مثلاً يناسبه المعاني الحميدة ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة كما في مقذعات شعر بشار ، بحيث لا يحسن ان يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس ، وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ المعنى « وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الاخص للاخص والاحسن للاحسن فهو البريء من العيب » . وقال الجاحظ في البيان : جاء رجل الى محمد بن حرب الهلالي بقوم فقال « ان هؤلاء انفساق ما زالوا في مسيس هذه الفاجرة » فقال محمد بن حرب « ما ظننت انه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي ان

يكفى عن الفجور بهم» يعني حيث كنى بلفظ الميسس . وقال ابن زيدون في رسالته الى الوزير ابي عامر ابن عبدوس الطامع في صحبة ولادة خلية ابن زيدون « الساقط سقوط الذباب على الشراب » . وفي ذلك قول المتوكل عمر بن الانطس صاحب بطليوس يستدعي الوزير ابا طالب بن غانم احد ندمائه ليحضر الى الانس في روض :

أقبل ابا طالب الينا وقع وقوع الندى علينا^(١)
 (وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها) أي ان يكون غرض الشاعر من البيت والفاظه يستدعيان الكلمة التي تقع قافية له استدعاء شديدا اي قوي المناسبة حتى تجيء كلمة القافية كالموعود المنتظر فلا تكون مغتصبة متسلفة الوضع في مكانها . والقافية اراد بها هنا الكلمة الاخيرة من كل بيت وهذا مأخوذ من كلام الأخفش^(٢)

قال الصفدي في شرح لامية الطغرأبي « القافية المتمكنة هي

-
- (١) انشده في قلائد العقيان في ترجمة قاتل البيت و بطليوس من بلاد الاندلس .
 (٢) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الادباء واما القافية التي يضاف اليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من احكام آخر البيت وهي الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الاول .

التي يبني البيت من اوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت نزلت في مكانها متمكنة قد رسخت في قرارها ، بخلاف القافية القاغة التي اجتلبت لتأم العزن ، ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع ؛ وزعم ان بعض الشعراء غير قوافي لامية الطغرائي من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لان الفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وقوافيها في غاية التمكن اه » .

وقد ذكر ابو العلاء في رسالة الغفران ان خلفا الاحمر اشد بهجلسه قول النمر بن تواب :

ألمَّ بصحبتى وهم هججوع خيال طارق من ام حصنِ
لهما ما تشتهي عسلا مصفى اذا شئت وحوارى بسمنِ

فقال لهم خلف : لو قال النمر في موضع ام حصن ام حفص ما كان يقول في البيت الثاني ؟ فسكتوا ؛ فقال خلف « وحوارى بلمص » يعني الفالوج . ثم ان للمعري اخذ يفرض ان تغير قافية البيتين على جميع حروف المعجم على تقدير تغيير كنية ام حصن حرف غير النون فكانت القوافي متفاوتة في اقتضاء البيت اياها ^(١)

وقوله « حتى لا منافرة بينهما » اي بين المعنى ولفظه و بين

(١) صفحات ١٢-١٣-١٤-١٥-١٦- رسالة الغفران طبع امين
هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١

القافية ، فجعل المؤلف اللفظ والمعنى كشيء واحد بالنسبة لشدة اقتضاءها للقافية وبذلك قال بينهما ولم يقل بينها ، وهذه المنافرة كقول أبي عدي القرشي في قصيدة دالية :

ووقيت الختوف من وارثٍ والـ لـ وأبقاك سالماً ربُّ هُودٍ
فليس هُودٍ مناسبة بالمعنى واسكنه اجْتَلِبْ لأجل الروي فهو
قافية معتصبة ، وعلى اقتضاء البيت للقافية ان تكون القافية كما لو عود
به المنتظر كما سيأتي في كلام المؤلف

(فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر) سماها ابواباً لأن

كل واحد منها يعتبر عنوان باب من ابواب فن النقد لو شاء احد
تبويبه وقد علمت بعض ذلك .

والعمود عود عظيم يركز في الارض تمام عليه القبة او الخيمة
وتشد باعلاه وينشر من مناط ربطه اديم القبة او ثوب الخيمة الى
ان تشد بالارض بالاتواد على شكل قبة او هرم . فما به قوام الشعر
فهو كالعمود للبيت ، وقد وقعت هذه العبارة للحسن الأمدى في الموازنة
وساق في كلامه ما محصله : ان عمود الشعر هو الاسلوب الذي سلكه
فحول الشعراء من عهد الجاهلية وما بعده في بلاغة الكلام واحسان
المعاني والبعد عن التكلف وتجنب استكراه الالفاظ والمعاني . وذكر
عن البحترى انه سئل عن طريقته وطريقة أبي تمام فقال البحترى

« انا اقوم بعمود الشعر وابو تمام كان اغوص على المعاني » فبين انه
امتاز عن ابي تمام باجادة الناحية اللفظية من شرائط الاجادة وان
ابا تمام امتاز بالناحية المعنوية . فتحصل ان عمود الشعر هو مجموع
شرائط الاجادة اللفظية والمعنوية وهو الذي اعتمده المؤلف .

(ولكل باب منها معيار) المعيار اسم آلة للتعبير . والتعبير
تحقيق الوزن او الكيل على ميزان او مكيال محقق المقدار مضبوط
لا زيادة فيه ولا نقصان عن المقدار الذي يستعمل له ، يقال عَيَّرَ
الدينار اذا وزنه بدينار محقق الوزن ، وعَيَّرَ المكيال كذلك ،
ويقال لما به الكيل او الوزن معيار وعيار ايضاً كما سيحيء في
عبارة المؤلف . ومعنى كلامه ان لكل باب منها ضوابط ورسوماً
بها يكون الشعر حسناً مقبولاً ومميزاً عن القبيح المردود عند أهل
النقد ، مع بيان ما به ادراك تمييز الحسن من السيئ ، وهذا المعيار هو
كقول علماء المعاني : إن تمييز الفصيح من غير الفصيح بعضه يبين
في علم اللغة او التصريف و بعضه يدرك بالحس . فظهر ان المعيار
مجموع الشروط وطريق ادراكها .

(فعيار المعنى ان يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب)

اي ضابط المعنى المشروط فيما تقدم بالشرف والصحة . يعني ان
الوسيلة لتحصيل ملكة الحكم في استيفاء المعنى ما شرط فيه هي ان

يعرض المعنى على العقل الصحيح اي الفكر المستقيم . والفهم الثاقب وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني ولا تلتبس عليه الحقائق المتقاربة . شبه بألة الثقب اذ تخترق الاجسام الصلبة وهو يفوص الى الحقائق التي يعسر فهمها على غالب الازهان . ومراده عقل الشاعر وفهمه وهو المقصود ، ومثله الكاتب وكذلك عقل السامع الذي هو من اهل الذوق والنقد والاختبار .

(فاذا انعطف عليه جَنْبَتَا القبول، والاصطفاء مستأناً
بقرائنه خرج وافيأً والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته) قوله
فاذا انعطف عليه تفرع على ان يعرض على العقل الصحيح اي فاذا
انعطف عليه جنبتا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب اياه واصطفائه
له خرج وافيأً الخ ... واراد بهذا اعادة التنبيه على ان المعنى لما كان
غير مستغن عن كلام يقع فيه فجوودة المعنى مفتقرة الى جوودة الكلام
الذي يدل عليه .

واستعار الانعطاف الذي حقيقته الميل والحبة الى معنى الرضا
به والمواقفة ، اي : فاذا صادف المعنى من نفس عقل الشاعر صاحب
الذوق المسكين وفهمه قبولاً ورضاً فذلك المعنى واف بشرط الكمال
لنوعه وهو الصحة والشرف والجنبتان تثنية جنبه بسكون النون
وفتحها وهي الجانب اي اذا وافقه جانباً القبول والاصطفاء ووقع في

نسخة الاستانة جَبَّتَا القبول ثمنية جبة وهي ثوب له جيب وكان يلبس فوق الثياب الداخلية ، ونسخة جنبتا اولى وهي مماثلة لقول ابي العباس المبرد في اول باب من « الكامل » في اللفظ الغريب ، اذ قال « فاذا انعطفت عليه جنبتا القبول غطتسا على عواره الخ » ^(١) . واطافة جنبتا او جنبتا الى القبول والاصطفاء اضافة بيانية لان المضاف عين المضاف اليه . واستعارة جنبتا للقبول والاصطفاء لأن القبول والاصطفاء أشبهها جانبيين يحيطان بالمعنى ويحضرانه . واستعارة جنبتا لهما لانهما اشبهما ما يكتسي به المعنى بهجة . وقد اشار بالقبول الى صحة المعنى لأن المعنى لا يقبل الا اذا كان صحيحاً ، وكنى بالاصطفاء عن شرف المعنى لأنه اذا جاء شريفاً كان مرضياً في نفس المخترع فيما يقول والسامع فيما يسمع والناسقِدِ فيما يختار . وقوله مستأنساً بكسر النون حال من ضمير عليه ويجوز فتح النون ايضاً على معنى ان قائله اصطفاه وقبله واستأنس بما معه .

والاستئناس التأنس وهو ضد الوحشة وكنى به هنا عن المماثلة ، لأن المماثلة تستلزم التأنس بالمثل ، اذ الشيء يألف مثيله ، فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى وبين ما يقترن به من المعاني حتى يكون الكلام كله مفرغاً في قالب واحد من الكمال ، ولا يكون

(١) انظر صفحة ١٧ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨

بعض معانيه مقبولاً وبعضها مكروهاً، وذلك ما سماه رؤبة بالقران، كما سيأتي . - والقران جمع قرينة من الاقتران وهو الاجتماع وأنت القران على تأويله بالكلمات وبمقدار ما يقترن بالمعاني المرتضاه من معان مكروهة ينقص الكلام نقصاً قليلاً او كثيراً ويوحش السامع والناقد .

(وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال) يعني اللفظ

الذي وصفه آناً بالجزالة والاستقامة. اي وسيلة اختبار تحقق ذينك الوصفين فيه ثلاثة اشياء - الاول الطبع ، وهو طبع البليغ وذوقه ودربته الحاصلة من كثرة مزاوله الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها اللفظ المقبول المستحسن واللفظ المحفو المستنكر فينتقي ما يستحسن وينبذ ما يستكره .

والثاني الرواية وهي رواية ذلك اللفظ فيما يروى عن العرب وائمة الاستقراء ليعلم بذلك واقعه من الكلام الفصيح فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه .

والثالث الاستعمال ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز و يظهر العام والخاص مثلاً .

(فما سلم مما يهجه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم)

قال الجاحظ في البيان « ومتى شاكل اللفظ معناه واعرب عن فحواه . وكان لتلك الحال وفقاً . ولذلك القدر لفقاً^(١) . وخرج من سماجة الاستكراه . وسلم من فساد التكلف . كان قيناً بحسن الموقع . وبانتفاع المستمع »^(٢) . والمهجنة العيب في الكلام .

(وهذا في مفرداته وجمله مراعى لان اللفظة تستكره بانفراها فاذا ضامها مالا يوافقها عادت الجملة هجينا) ومعنى كلامه ان اللفظة قد تكون مستكرهه في حد ذاتها وقد تكون حسنة فاذا ضمت اليها لفظة اخرى لا توافقها صارتا معاً مستكرهتين ؛ ومعلوم انه اذا ضمت المستكرهه الى المستكرهه قوي الاستكراه فلم يحتاج المؤلف الى التنبيه على هذه الصورة ولعل في العبارة حذفاً .

قال عبد القاهر^(٣) « انك ترى الكلمة تروقك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحي حتى رأيتني وجعت من الاصغاء لينا وأخدعا

(١) اللفق بكسر اللام وسكون الفاء شقة من ثوب تضم الى اخرى يقال لفق الثوب يلفق من باب ضرب اذا ضم شقة الى اخرى فخطاها . فاللفق بكسر اللام زنة فعل بمعنى مفعول مثل ذبح بكسر الذال .

(٢) ص ٢٠ جزء ٢ المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥

(٣) ص ٣٧ دلائل الاعجاز طبع المنار

فان لها ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها في بيت ابي تمام:
يا دهر قوم من اخدعك فقد اضججت هذا الانام من خرقك
فتجد لها من النقل على النفس ومن التنقيص والتكدير اضعاف
ما وجدت لها هناك من الروح والخفة اه . ولم يبين الشيخ سبب
ثقل هذه اللفظة في موضع وحسنها في الآخر لأنه احاله على الذوق .
وزعم ابن الاثير في المثل السائر ان سبب ذلك هو افراد الأخدع في
بيت الحماسة وتثنيته في بيت ابي تمام وهو وهم من ابن الأثير . والحق
ان سبب حسنها في بيت الحماسة مجيئها مستدعاةً للكلام الذي قبلها
حيث كان ذكرٌ وجَع اللِّيتِ يستدعي وجَع ما حوله وهو
الأخدع فكان لفظ الاخدع فيه رشيقاً، وهو في بيت ابي تمام
مغضوب للقافية ، اذ لا مناسبة في استعارة الأخدع للدهر في هذا المقام،
اذ ليس في احوال الدهر ما يكون الأخدع رديفاً له كما يؤخذ من
كلام الأمدى في كتاب الموازنة (١)

(وعيار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما
وجده صادقا في العلوق بما زجا في اللصوق يتعسر الخروج عنه
والتبرؤ منه فذلك سيما الاصابة فيه)

اي ان الذكاء وحسن التمييز يدرك بهما الوصف المصيب في

(١) ص ١٠٥ - ١٠٧ - طبع الجواب

العلوق اي في تعلقه بالغرض الموصوف المشخص منطبقاً عليه مما رجاً له لا تقصير فيه . والسيما بالقصر العلامة ، قال تعالى « سيماهم في وجوههم »

(ويروى عن 'عمر أنه قال في زهير: كان لا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال) اراد الاحتجاج بكلمة صدرت من احد اهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب فانه قدم زهير بن ابي سلمى على غيره من الشعراء بثلاثة امور سيجيء ذكر الأول والثاني منها في كلام المؤلف وثالثهما ما هنا ، وهو انه لا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال ، وفي رواية: الا بما فيه . وما اقتصر عليه المؤلف اظهر في الغرض يعني انه يصيب الحز من وصف المعنى فاذا مدح احداً مدحه بصفات الكمال في الرجال ، كتبرله في معلقته يخاطب هـرم بن سنان والحارث بن عوف .

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منسهم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو افضل من قول النابغة :
رقاق النعال طيب حجازتهم يحيون بالريحان يوم السباب
ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :
يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال : انك قلت في مصعب بن الزبير :
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
وانما انكر عليه من اجل انه عدل به عن بعض الفضائل النفسية
الى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة فكان كالذي ينسب
بمحاسن الحسناء .

واعلم ان هذا الاصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف
اغراض الناس من عناية بالفضائل النفسية او المحاسن الجسمية او كليهما ؛
قال تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » . وكذلك اختلاف
احوال الحضارة والبدائة ، وانظر قول جعفر بن عتبة :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحباً
تجد ما افتخر به جاريّاً على خلق الأبطال واحوال اهل الشطارة
ولو سمعه الحكيم اعده تهوراً وغروراً .

ومما يدخل في عكس ما قاله عمر بن الخطاب ننقل قول ابي
الطيب في شدة تعلقه بسيف الدولة

أغاراً من السلافة وهي تجري على شفة الأمير ابي الحسين
لانه اتى بمعنى لا يليق بمثله مع مثل الامير ، وانما هو من المعاني
التي تناسب احوال المقيمين .

(فتأمل هذا فان في تفسيره ما ذكرناه) امر بالتأمل
 لظهور ان عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحتراز عن صفات النساء
 لان ذلك لو وقع لكان غلطاً . ولا يريد ايضاً ان يكون ما يمدح
 به ليس بمدح . ولكنه اراد ان يمدح بما هو كمال حق . وقوله « فان
 تفسيره ما ذكرناه » اي هو جزئي من جزئيات قاعدة اصابة الوصف
 اي توصيف المعاني المقصودة ، فان المديح نوع من اغراض الكلام
 ومعانيه فاراد بالتفسير التمثيل .

(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقته
 ما لا ينتقص عند العكس) لأن الفطنة هي التي ترشد الى مشابهة
 شيء لشيء او اشياء ، واما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر
 بواسطته اشبه الاشياء بالمشبه به في الصفات المقصودة . ومعنى اصدق
 التشبيه انه الاشد مطابقة لما في نفس الامر ، بحيث لو عكس التشبيه
 فجعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب ، لانه يتأتى
 عن شدة المشابهة ، كقول المتنبي :

وقالني رماناً غصن بانه يميل به بدرويمسكه حنق

فشبه الثديين برمانتين . وقال الآخر :

ورمانه شبهتها اذ رأيتها بئدي كعاب او بحقمة مر مر
 (وأحسنه ما اوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر)

من انفرادهما (

هذه الكلمة لقدماء في كتاب نقد الشعر^(١)

(لبيّن وجه التشبيه بلا كافة الا ان يكون المطلوب من التشبيه اشهر صفات المشبه به واملكتها له لانه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس)

اي احسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج الى ذكره فان كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :

رُبَّ ليل كأنه الصبح في الحسن وان كان اسود الطيلسان
وقول النابغة في التشبيه المركب :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
(وقد قيل اقسام الشعر ثلاثة : مَثَلٌ سائر وتشبيهٌ نادر
واستعارة قريبة)

لم يعز هذا القول الى معين لأنه رآه كلاماً مقبولاً لا مرية في صحته على حد قولهم « انظر الى ما قال لا الى من قال » ، وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر مقصود به المبالغة تنويرها بهذه الثلاثة كما لا يخفى . والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي اليه عامة الناس فالآتي به يدل على حسن فطنته وتخيله . قال

(١) صفحة ٣٢ طبع الجواب بالاستانة

في أسرار البلاغة^(١) والمعنى الجامع في سبب الغرابة ان يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا ينزع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بدهة النظر الى نظيره الذي يشبه به ، بل بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك الوهم في استعراض ذلك. وقال^(٢) : وما يزيد به التشبيه دقة وسِحراً ان يجيء في الهيئات التي عليها الحركات كقول الوزير المهلبى :

الشمسُ من مشرقها قد بدتُ مشرقةً ليس لها حاجب
كأنها بُوتقةٌ أُحميتُ يجُول فيها ذهبٌ ذائب
وقول المؤلف «واستعارة قريبة» كذا في سائر النسخ بالقاف.
قال ابن رشيق^(٣) «أما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جاة العلماء ، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان اولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد احسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول ابي نواس :

بَحَّ صَوْتُ المَالِ مِمَّا مَنكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ
فَإِ شَيْءٍ أَبْعَدَ مِنْ صَوْتِ المَالِ فَكَيْفَ حَتَّى يَبْحَ مِنَ الشُّكْوَى

(١) ص ١٢٥ طبع المنار .

(٢) صفحة ١٤٥ طبع المنار .

(٣) صفحة ١٨١ من العمدة مطبعة امين هندية بالقاهرة سنة ١٣٤٦

والصياح آه» اي نفس اثبات الصوت للمال بعيد جداً واثبات
البُحَّة لصوت المال ابعده، وحاصل مرادهم ان يكون وجه الشبه
الذي بنيت عليه الاستعارة واضحاً وان تكون ارادة الاستعارة
واضحة حتى لا يحتاج الى القرينة او الى تقوية القرينة .

(وعيار التحام اجزاء النظم والتسامه على تخير من لذيذ
الوزن ، الطبع والاسان)

اراد بالطبع طبع الممارس للادب كما قدمناه في شرح قوله
« اتسع مجال الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصله بقوله:
(فما لم يتعثر الطبع بأبيّه وعقوده ولم يتحبس اللسان في
فصوله ووصوله بل استمر فيه واستسهله بلا ملال ولا كلال ،
فذلك يوشك ان تكون الفصيحة منه كالبيت والبيت كالكلمة
تشابهاً لاجزائه وتقارناً) التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض
شيء في الارض - واراد بالأبيّ الكلام المتكلف المستكبر كما تقدم
في تفسير قوله « من الأبيّ المستنكر » وفي احدي نسختي تونس
ونسخة الاستانة بأبنة وضبط بضمة على المهمزة وفتحة على الباء فهو
اسم جمع أبنة وهي العقدة تكون في العود فتعرض لكف المثقف
فتضطرب اليد اضطراباً يشبه العثار وهذا انسب بقوله يتعثر . والعقود
جمع عقْد بمعنى المعقود ، واكثر ما يطلق هذا الجمع على عقود البناء

دون عَقْد الحشْب . والتَحْبُس انْجِباس النفس على شيء أي امتناعها من تجاوز ذلك يقال تَحَبَّسَ على كذا ولما كان ذلك يقتضي المَكَانَ عداه المؤلف بحرف الظرفية ثم ان اراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله «تناسب الفصول والوصول» تعين ان يكون المراد بتَحَبُّس اللسان في ذلك ان يتقل عليه ما اختل من ربط الجملة بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد اهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها ويفصلها حيث اعتيد وصلها ، وفي اطلاق التحبس على هذا تكلف . ويجوز ان يكون اراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال ابيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الايات . والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا انسب بقوله : بل استمر فيه واستسهلاه... الخ

(وَأَلَّا يَكُونَ كَمَا قِيلَ فِيهِ :

وَشِعْرَ كَبْعَرِ الْكَبْشِ فَرَقَّ بَيْنَهُ لِسَانٌ دَعِيَ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ

(وَكَمَا قَالَ خَلْفَ :

وبعض قريض الشعر اولاد علة يكد لسان الناطق المتحفظ
وكما قال رؤبة لابنه عقبه وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال :
قد قلت لو كان له قران في احدى نسختي تونس ضبط
بفتحة على نون يكون (ألا يكون ...) فتعين ان تكون همزة الا

مفتوحة . وهي ان المصدرية ادغمت في لا النافية ، وهو عطف على
 قوله ان يكون ، من قوله : « يوشك ان يكون » ؛ واما ضبطه بهمزة
 في اسفل الالف فيقتضي ان يحزم يكن . والمعنى ان يشبه بعن الككبش
 في التفرق كما اوماً اليه بقوله « فرق بينه .. الخ » والغرض من هذا
 التشبيه التنفير من المشبه . وهذا البيت نسبة الجاحظ في البيان لابي
 البيداء الرّياحي واسم ابي البيداء أسعد ، ترجمه ياقوت في معجم الادباء .
 ويكد في بيت خلف بالدال المهملة والسكدة شدة الطلب وفعل
 كد يكون قاصراً ويكون متعدياً الى المفعول وهو الوارد في هذا
 البيت اي يجعل لسان الناطق في كد اي شدة عمل كناية عن
 الاتعاب والمراد بالمتحفظ المتحفظ من الخطأ ، فهو يكلف لسانه النطق
 بالبيت على وجه الصواب ، يعني واما الناطق الذي لا يبالي بالخطأ
 فينطق به كيفما اتفق لسانه . والعلة بفتحة العين ضرة المرأة
 واولاد العلة الاخوة للاب وشاع ان يكون بينهم جفوة لأجل جفاء
 الامهات ويستعار للاشياء المتقاربة غير المتناسبة كما في هذا البيت .
 وقد يستعار باعتبار آخر للأمر المتماثلة في الجملة مع اختلاف قليل كما
 في الحديث : الانبياء كأبناء علات أبوهم واحد وامهاتهم متعددة .
 وخلف هو خلف الملقب بالاحمر ابن حيان مولى بلال بن ابي بردة
 وهو بصري علامة في العربية ، وكان قريب الاصمعي واعلم اهل

عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة .

وكلمة رؤبة التي قالها لابنه هي من الرجز . وفي البيان للجاحظ ، قال نوفل بن سالم او عبيد الله بن سالم لرؤبة بن العجاج « يا ابا الجحاف، مُتْ متى شئتَ — قال وكيفَ ذاكَ — قال — رأيتُ عقبه بنَ رؤبة يُنشد رجزا اعجبني — قال — انه يقول لو كان لقوله قران » .

فالمراد بالقول في قد قلت في الخبر الذي حكاه المؤلف ، ومعنى « انه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول ، اي هو يقول الرجز الحسن ، ولكنه يأنى بالبيت الحسن ومعه البيت الذي لا يماثله في الحسن وهذا كما قال بعضهم « انا اقول البيت واخاه وانت تقول البيت وابن عمه » والقران المقارنة واراد به الماثلة .

(وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لان لذيذه يطرب الطبع لابقاعه ويمارجه بصفائه . كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :

تغنّ في كل شعر انت قائلهُ إن الغناء لهذا الشعر مضار)

ساق بيت حسان حجة على ان ميزان الشعر من نوع التلحين الموسيقي، فاوزان الشعر وضروره تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى فحسان يرشد الشاعر الى اختبار

استقامة ميزانه بان يثد ابياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزن فانه اذا انشده فلم يتعثر لسانه في تساوي اجزائه علم استقامتها والاشعر باختلال فاصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وانما كانوا يدركون الميزان بالسليقة . والمضمارُ المسافة التي تحدّد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

(وعيار الاستعارة الذهن والفطنة و ملاك الامر تقريب التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفى منه بالاسم المستعار لانه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له) ادراك حسن الاستعارة كادراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك امرها قرب التشبيه وملاك الشيء بفتح الميم وكسرهما قوامه الذي يملك به اي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه . وتقريب التشبيه تقدم . وقوله « لانه المنقول عما كان له في الوضع الخ » تعليل ليكتفى منه اي لانه ادعى ان المشبه من افراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه واطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لان الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه (وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية طول الدربة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلاها ولا نبو ولا زيادة فيه ولا قصور، وكان اللفظ

مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الاخص للاخص والاخص
للاخص فهو البريء من العيب)

احال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام المدرسة اي مدرسة
اهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار ؛ وهذا الفن من الحوالة
على الذوق وقد قدمنا بيانه . وقوله لا جفاء هو بالجيم في اوله والجفاء
التباعد وعدم الملاءمة وهو مقابل قوله بحسن التباس بعضها ببعض ؛
ووقع في بعض النسخ لاختفاء بالخاء المعجمة من فوق ولا موقع له في
هذا المقام . والخلال بكسر الخاء المعجمة الخلة والود اي لا تنافر ولا
تباعد في تناسب بعضها لبعض . والمراد بالاخص الكامل ، كأنه جعل
من الخاصة اي اصحاب الكمال . ولذلك قابله بالاخص .

(واما القافية فيجب ان تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها
المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقلة في مقرها مجتلبة
لمستغن عنها)

قوله يتشوقها المعنى بحقه اي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت
للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق ، وجعل ذلك الشوق ملائماً للحق
اي يتشوقها تشوقاً حقاً ، وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه اي بحظه
من البيت ، فان للالفاظ حظواً من المناسبة كما تقدم ، الا ترى
قول ابي الطيب :

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال

فانك تجد كلمة محال وهي قافية البيت مغتصبة محتلبة لاجل
الروي، والا فان الاستقامة يقابلها الاعوجاج، بيد انه غفر له ذلك
قوله بعده :

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعرض دم الغزال
فجاء بمعنى بديع وقافية متشوقة بحيث لا يمكن ان تعوض
بغيرها . وقد تقدم بيان بقيمة كلام المؤلف في عد الابواب السبعة .

(فهذه اخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبني
شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم والحسن المقدم . ومن لم
يجمعها كلها فيقدر 'سهمة'، منها يكون نصيبه من التقدّم
والاحسان وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن) .

قال قدامة في نقد الشعر « ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت
فيه الاوصاف الحمودة كلها ، وخلا من الخلال المذمومة بأسرها
يسمى شعراً في غاية الجودة . وما يوجد بضد هذه الخلال يسمى شعراً في
غاية الرداءة ؛ وما يجتمع فيه من الخالين اسباب ينزل له اسماً (كذا)
بحسب قر به من الجيد او من الرديء او وقوعه في الوسط الذي
يقال لما كان فيه صالح او متوسط او لا جيد ولا رديء » . وقول
المرزوقي سهمة بضم السين المهملة جمع سهم بمعنى النصيب والخط
اي بقدر انصابه من تلك الخصال يكون نصيبه من الاحسان .

(واعلم ان لهذه اخصال وسائط واطرافاً فيها ظهر صدق الوصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفروها اختيار الناقلين)
كلمة اقتفروها بتقديم القاف ، ثم تاء فوقية ثم فاء في نسخة الاستانة .
يقال اقتفرو الاثر اذ اتبعه والمعنى ان الناقلين تتبعوها فاخثاروها وفي نسختي تونس وقعت بتقديم الفاء على التاء ثم قاف وهو تحريف لا محالة ..

(فمنهم من قال احسن الشعر اصدقه قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسار الصدق يدل على الاقتدار والحدق .
ومنهم من اختار التلو حتى قيل احسن الشعر أكذبُه لان قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى اعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتموره في الصنائة واتسعت مواجئه ومخارجة فتصرف في الوصف كيف شاء لان العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق ، وعلى هذا اكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال احسن الشعر أقصدُه لأن على الشاعر ان يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط فما استوفى اقسام البراعة والتجويد او جملها من غير فلو في القول ولا احالة في المعنى ولم يخرج الموصوف الى ان لا يؤمن بشيء من اوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزويد لاقواله كان بالايثار والانتخاب اولى)

هذا مقام شاع خوض البلغاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن النابغة على حسان في عكاظ - قول حسان :

لنا الجففات الغريمان في الضحى واسيافا يقطن من نجدة دما
 إذ أخذ عليه استعمال جمع القلة للجففات وانه جعل لمعناها في
 الضحى وكان عليه ان يقول في المدحى وهي مشهورة في دواوين
 الادب العربي، وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر .
 وقد اختار أمة الادب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه اليه قدامة
 في نقد الشعر إذ يقول: ان الغلو عندي اجود للمذهبين، وهو ما ذهب
 اليه اهل النهج بالشعر والشعراء قديماً . قال: وقد بلغني عن بعضهم انه
 قال: احسن الشعر اكذبه اه . والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك
 المبالغة . وعلى هذا الاخلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة
 كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على ان مرادهم بالكذب هو الغلو
 وهو كذب تصاحبه قرينة ، على انه مخالف للواقع لغرض لطيف،
 وليس مرادهم الكذب مطلقاً .

وقوله «فمنهم من قال احسن الشعر اصدقه» قال حسان بن
 ثابت ، وربما نسب الى زهير: ^(١)

وأما الشعر لب المرء يعرضه على البرية ان كئيسا وان حُمقما
 وان أشعر بيت انت فأناله بيت يقال اذا انشدته صدقا

(١) كما في صفحة ١٤٢ - ٣ المقدم الفريد والمشهور في كتب الفن نسبة الى حسان

يعني بذلك ان يكون الشعر تعبيراً عن الامر الواقع وقد
قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى .

(ويتبع الاختلاف مِمْلُ بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى
المصنوع . والفرق بينها ان الدواعي اذا قامت في النفوس
وحركت القرائح أَعْمَلَت القلوب ، فاذا جاشت العقول
بمكنون ودائعها ، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها ،
نبعت المعاني ودرت اخلافها ، وافترقت خفيات الخواطر الى
جليات الالفاظ ، فتمت رِفْض التكلف والتعمُّل وخلَّتْ الطبع
المهذبُ بالرواية المدرب في الدراسة لاختياره ، فاسترسل غير
محمول عليه ولا بمنوع ، بما يميل اليه - أَدَّى من لطافة المعنى
وحلاوة اللفظ ما يكون صَفْواً بلا كَدَرٍ وَعَفْواً بلا جَهْدٍ ،
وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جُعل زمام الاختيار
بيد التعمُّل والتكلف عاد الطبع مستخدماً مُتَمَلِّكاً ، واقبلت
الافكار تستحمله اثقالها ، وتردده في قبول ما يؤويه اليها مطالبةً
له بالاغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء مؤداه
واثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان
يتفق في ابيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسير النزر ، فلما
انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع
على اقتنائهم فيه أو لعوا بتورده اظهاراً للاقتدار وذهاباً على
الاغراب ؛ فمن مفرط ومقتصد ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك
على حسب نهوض الطبع بما يَحْمَلُ ومدى قواه فيما يطْلَبُ منه

ويكَلِّف . - فمنَ ما الى الاول فلأنَّه اشبه بطرائق
الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال
الى الثاني فلذلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالفراوة .

كلام المؤلف هنا مفصَّح آتم الافصاح غير محتاج الا الى شرح
مفرداته: فقوله «اعملت القلوب» أي جعلتها عاملة والقلوب هي العقول؛
فالمراد بعملها هو التفكيك في ترتيب المعاني للتعبير عنها ، ولذلك
اعقبه المؤلف بقوله : فاذا جاشت العقول يمكنون زدايعها الخ ..
وقوله «لاختياره» متعلق بقوله «وخلي الطبع» «والتعمل»
تكلف العمل فعطف التكلف عليه عطف تفسير .

(واما تعجبك من ابي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه
عن ميدان شعره ومفارقة ما يهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر
بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان ابا تمام
كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر
بشهوته ، والفرق بين ما يشتهي وبين ما يستجاد ظاهر ، بدلالة
ان العارف بالبر قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ، ويستجيد ما
لا يشتهي لبسه ، وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء
العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعبد
من الشعراء الى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر الى
المتردد في الافواه والجميل لكل داع ، فكان امره اقرب ، بل
اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم وإسلاميهم

ومولدهم فاختلف منها الارواح دون الاشباح ، واخترف
الاثار دون الاكام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لان
ضروب الاختيار لم تحف عليه وطرق الاحسان والاستحسان
لم تستر عنه) ليس بعد هذا البيان حاجة الى الشرح .
(حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد ، فيه لفظة تشينه ، فيجبر
نقيصته من عنده ويبدل الكلمة باختها في نقده) انما حدا ابا
تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار من الشعر لم يقصد
صحة رواية اشعارهم لانها كانت مجموعة مروية ، وانما اراد تقريب
المختار منها الى اذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثالا
تحتذيه اذواقهم ، ومنوالا تنسج عليه اشعارهم ، ومع هذا فانه لا يصير
الى هذا التغيير الا نادراً عند الاقتضاء ، فقد عمد الى قول الربيعة بن
زياد في رثاء مالك بن زهير

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

فغيره وجعله : فليأت ساحتنا ، وانما حمله على ذلك كراهية تعليق
فعل الاتيان بالنسوة ؛ وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأبْتُ الى فمهم وما كِدت آيبا وكم مثلها فارقتُها وهي تصفر

فغيره : ولم ألكُ آيبا ، مراعاة لكون ما كدت يقتضي بظاهره انه
نفى اقتراب اياه مع انه قد آب . وفي داعي تغيير البيت نظر يعلم من

قوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ومن قصة ذي الرمة مع خلف الأحمر حين أنشده قوله :

إذا غيّر الذّاهي الحُبّين لم يكذب رسيس الطّوى من حب مية يبرح
(وهذا يبين لمن رجع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو ان نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء اعراف الناس . ويكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البحترى ، لانه فيما حكى عنه كان لا يُعجّب من الشعر الا بما يوافق طبعه ومعناه ونقظه) قال في دلائل الاعجاز^(١) روي ان عبيدالله ابن عبد الله بن طاهر سأل البحترى عن مسلم بن الوليد وابي نواس ايهما شعر فقال : « ابو نواس » فقال : ان ابا العباس ثعلبا لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذا به من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، انما يعلم ذلك من دفع في سلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته . ا هـ .

« وحكى الصولي انه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت احداً قط اعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من ابي تمام . وحكى عنه انه مر بشعر ابن ابي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره ابعد الاشياء من شعره ، وهذا واضح » .

(١) ص ١٨٣ طبع مطبعة المنار

تقدمت ترجمة الصولي . واما المبرد فهو ابو العباس محمد بن يزيد
 الثَّمَالِي بضم المثلثة وتخفيف الميم نسبة الى ثمالة لقب جده الأعلى ،
 وهو أسلم بن أحجن الأزدي نسبة الى ازد شنوءة بفتح الشين المعجمة ،
 البصري الملقب بالمبرد بكسر الراء المشددة على الاصح المولود سنة ٢١٠
 والمتوفى سنة ٢٨٥ ؛ امام العربية ببغداد ، كان فصيحاً علامة في
 العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من ابلغ الكلام وافصحها
 نظماً ونثراً ، ولُقّب بالمبرد وقل من يتعرض لضبطه ،
 وقيل هو بكسر الراء المشددة وهو الذي اقتصر عليه ياقوت في
 معجم الادباء وانه لقبه به شيخه ابو عثمان المازني ومعناه المثبت
 للحق . وقيل بفتح الراء ، فقال ياقوت : هو تحريف حرفه
 اهل الكوفة . وقال ابن خلكان عن ابن الجوزي لقبه به شيخه
 ابو حاتم السجستاني في قصة ذكرها فهو بمعنى المحجول له برد .
 قلت : وسمعت من بعض مشايخي ان المبرد كان يقول : بَرَدَ اللهُ مِنْ
 بَرَدِي ، اي من يدعوه المبرد بفتح الراء على انه لقب نيز من
 البرودة . واما الحسن بن رجاء فهو اديب شاعر كان زمن الواثق
 ولم اقف على سنة وفاته ، وذكر له الاغاني ابياتاً اربعة كتب بها الى
 الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته . وابن ابي عيينة اسمه ابو عيينة^(١)

(١) جهرة الانساب لابن حزم ص ٢٠٩ طبع دار المعارف بمصر .

وكنيته ابو المنهال ونسب الى جده فهو ابو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي (١) البصري ، كان شاعراً مطبوعاً من شعراء (٢) دولة الامين (٣) ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون .
قال ابن الاثير في الكامل انه انشد طاهر ابن الحسين :

ما ساءَ ظَنِّيَ الابواحدةِ في الصدرِ محصورةً عن الكَلِمِ
يعرضُ بقتلِ طاهرِ محمدِ ابنِ يزيدِ المهلبِ فتبسمِ طاهرِ وقال : اما
واللهِ ساءَني من ذلكِ ما ساءَكَ وآلمني ما آلمَكَ الخ ترجمه في
الاغاني (٤) . وقال « كان ابن ابي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن
حفص الملقب هزّارَ مرَدَ من قوادِ الدولة العباسية . وعن المبرد انه
قال : لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح
ابيه كما اجتمع لابن ابي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :
ابوك لساغيث نعيش بوبله وانت جراد ليس يُبقي ولا يدّرُ
وعاش ابن عيينة بعد موت المأمون ولم اقف على تعيين عام
وفاته . وقول ابي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في
انه لم يثبت له شيئاً من شعره في ديوان الحماسة .

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولاق .

(٢) تاج العروس .

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٩٥ .

(٤) جزء ١٨ ص ٨ .

(واما ماغلب على ظنك من ان اختيار الشعراء موقوف على الشهوات اذا ما كان يختاره زيد يجوز ان يزيفه عمرو ، وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته فليس الامر كذلك) . اشار المرزوقي بقوله الى غير ذلك مما ذكرته الى الجواب عما تقدم من حكاية كلام من خاطبه بقوله « بل تعتقد ان كثيراً مما يستحسنه زيد يجوز ان لا يصادقه عليه عمر الخ » وقد استغنى المرزوقي بما بينه هنا من الاسباب عن التصريح بابطال قول السائل هناك « مع انه لا فضيلة لذلك ولا نقيصة لهذا الا ما فاز به من الجد عند الاصطفاء » ولذلك قال المؤلف هناك « الا انه اذا وضع السبيل وقعت الهداية بايسر دليل » . وقد ظهر من بيان المؤلف ابطال اعتقاد ان يكون التفاضل خلياً عن اسباب ظاهرة علمية ، وانه ليس معلولاً لعلل وهمية يتعلل بها الضعفاء في صناعة الادب اذا ضعفت مقدرتهم عن مجارة السابقين في حلبة الادب فيزعمون ان تفوق المتفوقين لاجل انهم مبخوتون ، وقديماً اعتل المشركون لعجزهم عن معارضة القرآن بان قالوا هذا سحر . واما قول المعري: لا تَطْلُبَنَّ بدون حَظ رُتَبَةً قَلْمُ البليغ بدون حَظِّ مِغْزَلٍ فانما جعل الحظ سبباً في نوال الرتب لا في استجداء الكلام وايضاً هو من مشايعة الاوهام. (لأن من عرف مستور المعنى

ومكشوفه وسرفوض اللفظ ومألوفه . وميز البديع الذي لم
تقتسمه المعارض ولم تعتسفه الخواطر . ونظر وتبحر . ودار
في اساليب الادب فتخير . وطالت مجاذبته في التذاكر
والابتحاث ، والتداول والابتعاث . وبان له القليلُ النَّائبُ عن
الكثير . والحظُّ الدالُّ على الضمير ودرى ترانيب الكلام
واسرارها . كما درى تعاليق المعاني واسبابها . الى غير ذلك مما
يكمّل الآلة ويشحذ القريحة ؛ تراه لا ينظر الا بين البصيرة .
ولا يسمع الا بأذن النصفية ولا يتقن الا بيد المعندلة .
فحكّم الحكم الذي لا يبدل ونقده النقد الذي لا يغير)
بين المرزوقي بهذا الكلام اسباب الاختيار عند اهل النقد بانها
اسباب حقيقية لا وهمية : قال الآمدي في الموازنة^(١) : « وانه على الجيد
وأفضله . وأبين الرديء وارذله . وأذكر من علل الجميع ما ينتهي
اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن اخراجه الى البيان .
ولا اظهاره الى الاحتجاج . وهي علة ما لا يعرف الا بالدربة ودائم
التجربة وطول الملابس ، وبهذا يفضل اهل الخذاقة بكل علم
وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلّت دربته بعد ان يكون
هناك طبع فيه تقبل تلك الطباع وامتزاج والا لا يتم ذلك » اه .
وقد اظن المرزوقي في صفات الناقد الذي يقبل نقده وجعله

(١) صفحة ١٦٧ طبع الجوائب بالاستانة .

كالحاكم المصيب حكمه ؛ وقد قال بعض الشعراء :
 يا ابا جعفر تحم في الشـ هر وما فيك آلة الحكام
 إنَّ نقدَ الدينار الاعلى الصَّيـ سرفِ صعب فكيف نقد الكلام
 قد رأيناك لست تفرق في الاشعار بين الارواح والاجسام
 ومراد المؤلف بالبديع المعنى المبتدع وقد تقدم؛ **والمعارض** جمع
 معرَض كمنبر وهو الثوب للجارية وقد تقدم بيانه واراد بها
 الالفاظ التي هي للمعاني كالمعارض للجواري ؛ **والاعتساف** المشي في
 الرمل **والابتحات** المبالغة في البحث **والنصفة** بالتحريك اسم
 الانصاف . **والمعدلة** بفتح الميم وكسر الدال العدل . (**واعلم**
انه قد يعرف الجيد من مجهل الرديء . والواجب ان تعرف
المقايح المتسخرطة كما عرفت المحاسن المروضة) .
 هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئو بعدان
 انتهى من بيان اسباب الجودة والاختيار . واراد بقوله قد يعرف
 الجيد من مجهل الرديء انه قد يتمحض بعض الادياء للانكباب
 على مطالعة الخنارات والدواوين المشهود لها بالاجادة ولا يشتغل
 بتتبع ساقط الاشعار لان في طباع الناس اتباع الكمال ومحبة
 العكوف على الحسن ارضاءً لميل النفس الى محاسن الاشياء وجمالها
 فيبقى غير عالم بالرديء وبتناول الإعراض عن تتبع الرديء

يضعف انتباهه الى علل السقوط واسباب الرداءة . وليس مراده
بجهل الرديء العَجْز عن ان يدرك رداءة الرديء فان من عرف
الجيد لا يعدم ادراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله : «والواجب ان
تعرف المقابح الخ » فكما يجب معرفة اسباب الاختيار يجب معرفة
علل النقد فلا جرم ان كان واجباً على من يعنى بالادب اهتمامه
بمطالعة ما للشعراء من اسقاط^(١) واغلاط كما يهتم بما لهم من بدائع
انماط ، فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً، ولان ذلك يكسبه
ملكة الحكم ومقدرة الاتقان باسباب الارتفاع والانحطاط .
(وجماعها اذا اجملت انها اضداد ما يبناه من عمد البلاغة وخصال
البراعة في النظم والنثر) .

اراد بعمد البلاغة ما سماه فيما تقدم عمود الشعر وهو الابواب
السبعة والعمد بفتححتين وبخصال البراعة ما سبق من شروط الاجادة
عند البلغاء .

(وفي التفصيل: كأن يكون اللفظ وحشياً)

قوله وفي التفصيل عطف على قوله اذا اجملت وهذا تفصيل ما
اجمله آنفاً . وقوله « كأن يكون اللفظ وحشياً » يقال وحشي ويقال
حوشي بطريق القلب المكاني ، والوحشي : اللفظ الذي يقل استعماله في

(١) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

الكلام الفصيح او يكون مراد الشاعر به غير معلوم ، ومثاله ما وقع في شعر ابي حزام غالب العُكْلِي من شعراء زمن المهدي من قوله :
تذكَرْتُ سَلْمَى وَأَهْلًا سَهَا فلم أنسَ والشوقُ ذو مَطْرُوءَةٍ
وانشد احمد بن جحدر ابن الاعرابي ابياتاً منها قوله :
حلفتُ بما ارقلتُ نحوَه همَرجلةٌ خلقتُها شَيْظَمُ
فقال له ابن الاعرابي ان كنت جاداً فحسيك الله ... اي ان لم يكن مقصدك بجلب هذين اللفظين المرح فقد اسأت في صناعة الشعر، فلذلك دعا عليه بحسبك الله الذي يستعمل كناية عن جزاء ارتكاب السيئة لا دعاء (او غير مستقيم) اراد به ما خالف قياس اللغة كقول ابي النجم « الحمد لله العلي الاجل » بفك الادغام . او ما خفي اشتقاقه كقول العجاج « وفاحما ومرسنا مسرجا » فلم يُدرَ أراد انه منسوب الى السيف السريجي في الدقة والاستواء ام الى السراج في الديرىق (او لا يكون مستعملا في المعنى المطلوب) يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم عند قول المؤلف « مقوماً من أود اللحن وانخطأ » من قول المسيب بن علي :
وقد اتلافني الهم عند احتضاره بناج عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مِكْدَمُ
او فساد التشبيه كقول ابي تمام :
لا تسقني ماء الملام فاني صب قد استعذبت ماء بكائي

حيث شبه اللوم بالمساء المشروب . (فقد قال عمرو رضي الله عنه في زهير : لا يتبع الوحشي ولا يعاقل في الكلام) ساقه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم يقتصر على احدي الجملتين كما اقتصر على الجملة الثانية فيما تقدم من قول عمر « ولا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال » حيث كانت ترجع الى حسن معنى الوصف .

وقول عمر « ولا يعاقل الكلام » ولا يعاقل الكلام بسقوط حرف الظرفية ولا يتعدى فعل يعاقل إلى الكلام بنفسه فهو من باب نزع الخافض . وفي كتاب جمهرة اشعار العرب لابي زيد (١) « ولا يعاقل بين الكلامين » وفي نقد الشعر والموارنة والمثل السائر « ولا يعاقل بين الكلام » واضافة بين الى الكلام وهو مفرد لانه على تقدير الأجزاء اي بين اجزاء الكلام ومفرداته . ومعنى يعاقل يجعل الكلام متعاضدا كما جاء في الحديث « سابق بين الخيل » اي جعلها تتسابق . واختلفت اقوالهم في تفسير المعازلة اختلافاً يتبعون فيه ما يقنضيه ائمتنا في اللفظ : ففسر ابو زيد المعازلة بان يردد الكلام في القافية لمعنى واحد « يعني الايطاء » . وفسرها قدامة بأنها ان يدخل في الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به ؛ وهذا تفسير غلطه فيسه

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

الأمدي في الموازنة . وفسر هو المعازلة بأنها شدة تعليق الشاعر
الفاظ البيت بعضها ببعض ، وان يداخل لفظه من اجل لفظه تشبهها
او تجانسها وان اختلف المعنى بعض الاختلال ، كأنه يعني الافراط
في التجنيس ، ومثلها بقول ابي تمام :

خَانَ الصَّفَاءُ اخَّ خَانَ الزَّمَانُ اخًّا عِنْدَهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمْدُ
لكثرة الفاظ خان وتخون واخ واخا . وفسرها ابن الاثير في
كتاب المثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر
وتكرار العوامل وتتابع الاضافات . ويظهر ان المؤلف يجعل
المعازلة كون اللفظ غير مستقيم الدلالة او غير مستعمل في المعنى
المطلوب . وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به المعازلة ، فانه دره في
ايجازه واعزازه ، واما ما كان تفسير المعازلة فهي عيب يتعلق بالانفاظ
من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها . (او يكون فيه
زيادة تفسد المعنى او نقصان) . اما الزيادة المفسدة فيقول
الشاعر :

بَأْضِيبٍ مِّنْ فِيهَا لَوْ أَنَّكَ ذُقْتَهُ إِذَا لَيْلَةٌ اسْجَتْ وَغَارَتْ نَجُومُهَا
فقوله « لو انك ذقته » زيادة تفسد المعنى لانها توهم انه لو لم يذوقه
لم يكن طيباً .

واما النقصان المفسد للمعنى فهو ان ترك من اللفظ ما به تمام

المعنى المراد كقول الشاعر :

لا يَرْمَضُونَ إِذَا حَرَّتْ مَشَافِرُهُمْ وَلَا تَرَى مِنْهُمْ فِي الطَّعْنِ مَيْلًا^(١)
وَيَفْشَلُونَ إِذَا نَادَى رَبِّيهِمْ إِلَّا أَرَكُبَنَّ فَقَدْ آتَتْ أَبْطَالَ^(٢)
فَقَوْلُهُ وَيَفْشَلُونَ إِذَا نَادَى رَبِّيهِمْ وَلَا يَفْشَلُونَ فَحَذَفَ لَا ، فَصَارَ
إِلَى ضِدِّ الْمَعْنَى . وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ الْإِنْجَازِ الَّذِي لَا يَفِي بِالْمَقْصُودِ
كَقَوْلِ الْحَارِثِ بْنِ حَلِزَةَ :

وَالعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لِ النَّوْكَ مِمَّنْ عَاشَ كَذَا
إِرَادَ أَنْ العَيْشَ النَّاعِمَ فِي حَالَةِ الحِمَاقَةِ خَيْرٌ مِنَ العَيْشِ بِكَدِّ فِي
حَالَةِ العَقْلِ فَقُضِرَ عَنِ المَرَادِ . (أَوْ لَا يَكُونُ بَيْنَ أَجْزَاءِ
البَيْتِ التَّمَامُ) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التمام أجزاء
النظم وعند الكلام على عيار التمام أجزاء النظم (أو تكون
القافية قَلْبَقَةً فِي مَقْرَهَا أَوْ مَعْيِبَةً فِي نَفْسِهَا) . أما قول المؤلف
أو تكون القافية قلقة في مقرها فهو ما تقدم الكلام عليه عند

(١) أرمض يرمض رمضا من باب تعب إذا رعى البعير في الرمضاء .
وحرت أصابها الحر . شبههم بإبل لا ترضى برعى المرعى الذي أصابته الحرارة .
(٢) يصف قوماً بآباء الضم شبههم بإبل لا ترضى أي لا ترضى الرمضة
وهي الأرض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة ارمضاء وفي «لا يرمضون»
استعارة مكبية، ووصفهم بالمشاط إذا دعوا إلى منازلة الأبطال .

الكلام على شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الابواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية. واما قوله « او معيبة في نفسها » فالمراد به ان تكون كلمة القافية معيبة بعيب مما يرجع الى عيوب اللفظ مثل قول المتنبي « يصيح القطا فيها صياح اللقائى » وقوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بعرانا
فان اللقائى وعرانا لا يخلوان عن كراهة في السمع . (او يكون
في القسَم او التقابل او في التفسير فساد) . اما فساد التقسيم فهو
ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين احدهما ان يأتي الشاعر
بتقسيم وائس هو بتقسيم كقول هذيل الاشجعي :
فما برحت تومي الي بطرفها وتومض احيانا إذا خصمها غفل
فإن تومي وتومض متساويان ؛ وقريب منه قول لبيد
كدخان مشعة يُشَبُّ ضراها
ثم قال بعده فيها :

كدخان نارٍ ساطع اسنامها
وثانيهما ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :
كانت حنيفة أثلثا فمُلِّسْهُمْ من العبيد وثلث من موالها
فسكت عن الثلث الثالث .

وأما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول أبي عدي :

رُحَاءٌ لَدِي الصَّلَاحِ وَضَرًّا بُونٌ قَدَمَا لِإِهَامَةِ الصَّنْدِيدِ
فَقَابِلٌ ذَا الصَّلَاحِ بِالصَّنْدِيدِ وَقَدْ يَكُونُ الصَّنْدِيدُ صَالِحًا لَهُمْ ،
أَفِيضِرُّ بُونَ هَامَتَهُ ؟ وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ الصَّنْدِيدِ شَرِيرًا لَهُمْ أَفَلَا يَضِرُّ بُونَ
هَامَتَهُ ؟ وَأَمَّا فَسَادُ التَّفْسِيرِ فَهُوَ فَسَادُ الْبَيَانِ بَانَ لَا يَلَاقِي الْبَيَانَ مَا
أَجْمَلَ سَابِقًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ مَادِحًا :

فِيَا أَيُّهَا الْجَبْرَانُ فِي ظَلَمِ الدَّجِيِّ وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيِي مِنْ الْعَدِيِّ
تَعَالَى إِلَيْهِ تَنَاقَى مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ضِيَاءٌ وَمَنْ كَفَيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدِيِّ
فَتَبَيَّنَ مَا يَتَرَقَّبُهُ فِي ظَلَمَةِ الدَّجِيِّ بِحُصُولِ ضِيَاءِ وَجْهِهِ الْمَمْدُوحِ
تَفْسِيرِ صَحِيحٍ ، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ مَا يَتَرَقَّبُهُ خَائِفُ الْبَغْيِيِّ بِحُصُولِ الْكِرَامِ
تَبَيَّنَ فَاسِدٌ . وَمَنْ فَسَادَ التَّفْسِيرِ سَخَافَتَهُ ، كَقَوْلِ عَزِّ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيِّ
فِي بَدِيعَتِهِ :

ذَكَرَ الْإِمَامُ وَإِبْنَيْهِ يُفْسِرُهُ عَلِيٌّ وَالْحَسَنَانِ الْكَرِيمَ بِذِكْرِهِمْ
عَلَى مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ ضَرُورَاتٍ ثَلَاثٍ . (أَوْ فِي الْمَعْنَى تَنَاقُضٌ)
بِحَيْثُ يَقْتَضِي بَعْضُ الْمَعَانِي نَقِيضَ الْبَعْضِ الْآخَرَ فِي الْغَرَضِ الْوَاحِدِ
بَلَا تَأْوِيلٍ ، وَتَجِبُ مِرَاعَاةُ شُرُوطِ التَّنَاقُضِ فِي هَذَا ، وَهِيَ مَا يَعْبَرُ عَنْهَا
بِالْوَحْدَاتِ الثَّمَانِ فِي عِلْمِ الْمُنْطَقِ ، وَالْأَفْئِدَةِ مِنَ التَّنَاقُضِ مَا هُوَ مَعْدُودٌ
مِنْ لَطَائِفِ الْأَسَالِيبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ »

الله رمى «. ومنه ما يسمى بالطباق ، وهو الجمع بين معنيين متضادين
ولو في الجملة .

ومثال ما وقع فيه التناقض وعيب على قائله قولُ زهير :
قَفَّ بِالذِّبَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفِهَا الْقَدَمُ بَلَى وَعَبَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّمِّمُ
اذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النفي بحرف بلى ، وقد
يعتبر ذلك لضرب من التلميح كقول بعض الادباء :
أُسْكِرُّ بِالْأَمْسِ اِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرْبِ غَدًا اِنْ ذَا مِنَ الْعَجَبِ
وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو ، وكذا قول ابن الفارض :
شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مَدَامَةً

سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ اَنْ يُخْلَقَ الْكِرْمُ

وقد عابوا على عبد الرحمان بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَاكَ فَأَقْبَرُ
لان شرط اذا يقتضي المستقبل ، اي اذا هي ماتت يموت هو قبل
ذلك . (او خروج الى ما ليس في العادة او الطبع) ، سماه خروجاً
لانه مخالفة لصحة الكلام فكأن صاحبه خرج من حظيرة معاني
الشعر الى الهوس ، وهو يرجع الى الخطأ في المعاني . مثال الخروج الى
ما ليس في العادة قول ابي الطيب :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانَكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاوِلِ

اذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحبة ، الا ان يكون
الذي اراد منه ذلك غير نفسه . فتأملهُ! .. ومثال الخروج الى ما ليس
في الطبع قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق في دعجاء باد دجونها
فجعل الخلال مفرطاً في البياض وطبيعة الخلال السواد ، وإل فقد
انقلب بهقا . (او يكون الوصف غير لائق بالموصوف) . من
اغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :

وقد اتلافني الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
الناجي الجمل الفحل والصيعرية سمسة يسم بها اهل اليمن النوق
الكرآم ، فلا يوسم بها الجمل - وقد تقدم آنفاً . وقد ورد في كتب
الأدب كثير من هذا كما في الموازنة الآمدي ، ولذا قال المؤلف فيما
مضى « ويعيار الاصابة في الوصف الذكاء ، وحسن التمييز »

وقد يجي الخطأ من حصر في التعبير كما وقع لعبدالله بن السمط في
مدح الخليفة المأمون العباسي قوله :

اضحي امام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدينا مشاغيل
قالوا : لما سمعه المأمون نظر اليه نظرة كاد ان يصطامه عليها ؛ فاما
حدثت عبد الله بذلك عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال
عماراً « لقد احسن اذ لم يؤدبك . واذا لم يشتغل هو بالدينا فمن

يشتغل بها . هلا قلت كما قال جدِّي جرير في عمر بن عبد العزيز :
 فلا هو في الدنيا مضيعٌ لدينه ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغله
 وفي رواية انه قال : ما زدت على ان جعلت امير المؤمنين عجوزاً
 في محرابها . (او يكون في البيت حشو لا طائل فيه) ، الحشو
 بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى الحشو
 لانه لا جدوى له الا الزيادة في الكلام ، كقول مصقلة بن هبيرة :
 أَلِكْنِي الى اهل العراق رسالةً وخصَّ بها حبيبت بكر بن وائل
 فقوله : حبيبت — دعاء لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول
 ابي فراس :

ولكنني والحمد لله حازمٌ أعز اذا لهن رقاب
 فحمد الله هنا حشو ، اذ لا جدوى له في الغرض . ومن
 قبيحه^(١) قول بعضهم :

أمّ سلامٍ اثبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربّه
 أنكم في عينه من عيشه فاعلميه يا سلمي حَسْبُهُ
 فقوله: يقيناً ربه، حشوان؛ وكذلك: في عينه؛ وكذلك: فاعلميه
 يا سلمي . (الى غير ذلك بما يحصله لك تأملك نجمل
 المحاسن وتفصيلها وتتبعك ما يضاعها وينافها وهذا هين قريب) ،

(١) انشده قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤ .

اي ان المحاسن وازدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض
المحاسن ولا تذكر اعدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر
محاسن الخلو عنها. والتأمل في الجميع يحصل التأمل انتباهها الى ادراك
ما عسى ان يغفل عنه .

واسم الاشارة في قوله - وهذا هين - راجع الى المذكور آنفاً من
قوله - واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء الى قوله وهذا
هين قريب - يعني انه انما اهمته ببيان المقابح اجالاً ثم تفصيلاً
لتكون نموذجاً من علل النقد واسباب السقوط بحيث يتمكن
مزاولة التأمل فيها وفي ما ياتلها ان يبين وجه رداءة ما يحكم رداءته
من الشعر ، لأن بيان أسباب الرداءة ايسر من بيان أسباب الجودة
وقد تقدم قول الأمدى في الموازنة «وابن الرديء وارذله» .

(وانما قلت هذا لان ما يختاره الناقد الخاذق قد يتفق فيه ما
لو سئل عن سبب اختياره اياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه الجواب
الا ان يقول : هكذا قضية طبعي او ارجع الى غيري بمن له
الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي ، وليس كذلك ما
يستلذه النقد او ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك الا
ويمكن التنبيه على الخلل فيه . واقامة البرهان على رداءته
فاعلمه) .

مراد المؤلف بقوله «لأنه لا شيء الا ويمكن التنبيه على الخلل

فيه واقامة البرهان على رداءته فاعلمه» اظهر الفرق بين حالة الحكم
بالاجادة وحالة الحكم بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى
الطبع والذوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ،
وفي هذا اشارة الى الرد على الأمدي اذ سوى بين الحالتين في
الموازنة فقال : « وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص
وتحيط به العناية ويبقى ما لم يتمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره
بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول
الملاسة . وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن
نقصت قريحته وقلبت دربنه » .

« واما قوله فاعلمه فإشارة الى ابطال قول سائله « مع انه لا
فضيلة لهذا ولا نقص لهذا الا ما فاز به من الجدة عند الاصطفاء
والقسم » وقد اكتفى بهذه الاشارة لان فيها بسط من القول في
اسباب المناضل والاختيار غنية عن التصريح بالابطال ، وقد تقدم
ذلك عند شرح قول المرزوقي « واما ما غلب على ظنك من ان
اختيار الشعراء موقوف على الشهوات الخ » ..

(واما تتميم معرفة السبب في تأخر الشعراء عن مرتبة
الكتاب البلغاء والعدر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلة
في نباهة اولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان اكثر المفلقين لا

يبرعون في انشاء الكتب ، واكثر المترسلين لا يفلقون في قرص
الشعر. فاني اقول في كل فصل من ذلك بما يحضر والله ولي توفيق
وهو حسبي وعليه توكلني .

جمع المؤلف هذه الاسئلة جمعاً واحداً لانه اراد الجواب عنها
برمتها اذ كان بيان اسبابها آخذاً ببعضه بجزء بعض كما سيأتي .
واعلم ان هذا المبحث خارج عن مقام النقد الى ميدان التفاضل بين
الصناعيين واهلها اقتضاه الجواب عما اورده السائل .

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء هو وجه تاخر
المنظوم عن رتبة المنشور عند العرب لامرين : احدهما ان
ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتتان
فيها ويعدونها اكمل اسباب الرئاسة وفضل آلات الزعامة
فاذا وقف احدهم بين الساطين لحصول تنافر او تضاعف او
تظالم او تشاجر فاحسن الاقتضاب عند البداهة وانجح في
الاسهاب وقت الاطالة او اعلى في ذروة منبر فتصرف في
ضروب من تحشين القول وتليينه داعياً الى طاعة او مستصلحاً
لرعية او غير ذلك بما تدعو الحاجة اليه كان ذلك ابلغ عندهم
من انفاق مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابتداء المبحث بالترتيب بين اسلوبي الكلام : النثر والنظم ،
وبنى تأخر الشعراء عن رتبة الخطباء والكتاب على اساس تأخر
المنظوم عن رتبة المنشور ، اذ الكتابة من صناعة النثر فهي والخطابة

من صنف واحد فأثار مبحثاً قديماً خاض فيه الأدباء .

وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير فقال : (١)

« اعلم ان الاقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر الا ان المذهب الفحل والقول القوي هو ان الكلام المنثور افضل من الكلام المنظوم » .

واقول ان مناط التفاضل وموضوعه انما هو النثر الخالص الذي يقصد منه تأثر السامع واقناعه بغرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة كالخطب . ورسائل الادباء . والامثال . والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها . والاحاجي . والنكت المسنطرة . فيقصد واضعوها التأنق فيها لتكون ابقى في ذهن السامع، فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المحادثات في الشؤون المعتادة والحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند . وكتابة الاموال . والمؤلف بنى تفضيل النثر، على ما حف بصناعته من العوارض العرفية والدينية، وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببين وعززهما بثالث . وابن الاثير ذكر اربعة اسباب اثنان منها يتداخلان مع ما ذكر المؤلف . واثنان منها محل نظر، وما ذكره المؤلف امتن . (٢)

(١) الورقة ٣٤ من النسخة المخطوطة بالحزارة العاشورية .

(٢) قال ابن الاثير عقب كلمته التي ذكرت آنفاً « والدليل على ذلك من اربعة وجوه : الاول - ان القرآن الكريم ورد نثراً . وهو معجزة الرسول

وقول المؤلف «عن رتبة البلغاء» اراد بالبلغاء غير الشعراء. لأن الشعراء وان كانوا من اهل البلاغة الا انه لما كان الصنعة الشعر اسم خاص من بين الكلام البليغ شاع اطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من عداهم من الخطباء والكتاب، وهو اطلاق قديم مشهور، ومنه قول ابي العلاء المعري :

لا تضابن بسدون حفظ رتبة قلم البليغ بسدون حفظ مغزل
يعني بالبليغ الناثر المتطاب لرتبة الكتابة الديوانية او الوزارة . وابتدأ

صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان المعجزات لا تحيى الا من طريق الاصعب، ولما كان النثر من الاقوال الشاقة اتزل الله القرآن الذي هو معجزة على قانونه، وايضاً فان ارباب النثر لو اريد حصرهم من اول الزمان الى وقتنا هذا لكانوا عدداً يسيراً . واما ارباب النظم فلو اريد حصرهم بل حصر اهل عصر واحد منهم لتعذر حصول ذلك ، « الوجه الثاني » ان النثر ينوب مناب النظم ولا ينوب النظم مناب النثر وذلك انه اذا أخذ معنى وعبر عنه بلفظ من الكلام المنثور فانه لا يمكن التعبير عنه بمقدار ذلك اللفظ بالشعر لان الشعر يحتاج الى اقامة الوزن وهذا لا يتم الا بزيادة لفظ او نقصان لفظ، واذا زيد صار من الكلام ما لا حاجة اليه واذا نقص صار المعنى ناقصاً « الوجه الثالث » ان النثر لا ينال الا بعد تحصيل آلاته المذكورة في صدر كتابنا هذا او بعضها وذلك بخلاف النظم فانه يقوله من لم يحصل من آلاته شيئاً . - قلت - ومما يدل على ان النثر اشق من النظم مأخذاً ان العرب كانوا افصح الناس واكثرهم قدرة على التفنن في الكلام ومع هذا فلم يسمع لاحد منهم نثر الا لقس ابن ساعدة ولأقوام آخرين وهم قليل، واما النظم فان جميع العرب كانوا يقولونه - « الوجه الرابع » ان الناثر تملو درجته حتى ينال الوزارة للخلفاء والملوك واما الشاعر فلا تملو درجته عن رتبة المستعطين .

المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء اذ لم تكن في الجاهلية رسائل .

واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية العصر الذي عني الادباء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك، فقد قيل انه مضى عصر كان الشاعر فيه يعد ارفع منزلة من الخطيب . قال ابن رشيقي في العمدة في باب التكسب بالشعر « ان الشاعر كان في مبتدا الامر ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تحليد الماء وشد العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته . فلما تكسبوا به وجعاود طعماً ، وتولوا به الاعراض وتناولوها ، صارت الخطابة فوقه » وهو مأخوذ من كلام الجاحظ عن ابي عمرو بن العلاء كما سيأتي قريباً . ووقع في كلام المؤلف لفظ الزعامة وهي الشرف وسيادة القوم . ووقع فيه لفظ الساطين وهو ثنية سماء بكسر السين وهو الصنف ، واراد سماطي المجمع من الناس ، اذ يقف كل شيعة سماً مقابلاً سماً ضدهم ، ووقع مثل هذا اللفظ في البيان والتبيين للجاحظ في باب « ذكر ناس من البلغاء والخطباء » . ووقع فيه لفظ الاقتضاب وهو القطع ، واستعاره للكلام الفصل الذي هو كالحكم .

(وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعدده ملوكهم

دزاة ؛ وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت ، حالاً بعد حال ما أخرجه ، الى ان امر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد)

عد المؤلف انفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للامر الأول من اسباب تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب ، وهو عنايتهم بالخطابة على نحو عنايتهم بعد عصر الجاهلية بالكتابة ؛ وكان الأولى للمؤلف ان يجعله من جملة الامر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم اوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالاحوال التي هي من شأن اهل البطالة ، والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم ؛ ومن ذلك ما سيدكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة احوال الكتاب ، اذ لا فرق في تلك الاحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام ، وما قصة امرئ القيس مع أبيه الا من ذلك القبيل ، فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد وأشار المؤلف الى قضية امرئ القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد ، وحاصلها حسبما يؤخذ من كتاب الشعراء لابن قتيبة والأغاني ^(١) وصبح الأعشى ^(٢) كانت الملوك تأنف قول الشعر ، وكان امرؤ القيس بمخالط شذاذ العرب

(١) صفحة ٦٨ جزء ٨ طبع بولاق .

(٢) صفحة ٦٠ جزء ١ .

من طيء، وكلب وبكر بن وائل، وكان قد عشق فاطمة التي لقبها
 غنيزة، وكان يطلبها زماناً ويطلب منها غرةً الى ان أصاب منها
 غرة يوم الغدير، بدارة جُلجلٍ وقال فيها القصيدة المشهورة
 «قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل» فلما بلغ ذلك أباه حجرأبن
 عمرو وهو ملك بني اسد نهاه واغلظ له وتوعده بالقتل فلم ينته
 فطرده من وجهه وقيل ان حجرأ سمع امرأ القيس يتنم في مجلس
 بقوله :

أسقيا حجرأ على علاته من كميث لومها لون العلق
 فهم بقتله وأهل القصص متعددة (والثاني انهم اتخذوا الشعر
 مكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السوق. كما توصلوا به الى
 العلية، وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه
 بوصف الكوريم، والكوريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم حتى قيل:
 الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني . فهذا
 الباب امره ظاهر . وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته
 وكان النظام متأخراً عن رتبة الثروجب ان يكون الشاءر
 ايضاً متخلفاً عن غاية البليغ).

يعني ان الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مكسبة وتعرضوا به
 للعطاء، مثل الأعشى والنابغة الذبياني وزهير فغض منهم . وفي

صبح الأعشى^(١) في مواد البيان «يروى ان النابعة الجعدي كان سيداً في قومه لا يقطعون امرأً دونه ، وان قول الشعر نقصه وحط رتبته . وبعضهم تعرض به الى اعراض الناس بالطعن في الهجاء مثل الزبير بن عبد المطلب والخطيئة ، اي فكره الناس ذلك منهم . وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظامهم الأمور . والحاصل ان في نحلة الشعر ما كان مجلبة للغض من اصحابه بالرغم على ما يعترف لهم به الناس من حسن البيان ، فقول من قال الشعر ادنى مروءة السري واسرى مروءة الدني : قول صادر عن لحظ من الشعر بعض عوارضه ، والا فقد كانوا يعدون الشاعر ينافح عن القبيلة ويرفع من ذكرها : فقيل كانوا يروون اذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان من الشعر لحكمة » وقد تصدى عبد القاهر في اول دلائل الاعجاز لابطال شبه من ساء اعتقادهم في الشعر فانظره . قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين^(٢) : قال ابو عمرو بن العلاء - كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويُفخّم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ،

١ - صفحة ٦١ جزء ١ .

٢ - ج ١ صفحة ١٧٠ طبع المطبعة الرحمانية على تحريف في كتيبه .

وُهيَّب من فرسانهم ، ونحوَّف من كثرة عددهم ، وبها بهم شاعر
 غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر
 مَكْسِبَةً ورحلوا الى السُّوقَة وتسرَّعوا الى اعراض الناس صار
 الخطيب عندهم فوق الشاعر ، ولذا قال الاول « الشعر ادنى مروءة
 السري واسرى مروءة النبي . وتقد وضع الشعر من قدر النابغة
 الذبياني ولو كان في الدهر الاول ما زاده ذلك الارتفاع اه) وقولهم
 ادنى مروءة السري هو من الدناءة بمعنى الخطاة اي هو احدل مروءة
 السري اي الشريف ؛ فالمروءة اجتماع الصفات التي تعتبر في الرجال ،
 وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرُّجاة من لفظ الرُّجُل ، فالشعر
 من المزايا التي يمتاز بها صاحبها . اذ لا يحصل لكل واحد فجعله
 اقل كالات الانسان الشريف ، وجعله اشرف كالات النبي ، وحسبك
 بهذا ثناء عليه ، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعراض اوجبت
 تنقص الشعر وأن النثر سالم من تلك الأعراض ، وانه وان شغل
 اصحابه عن عظام الامور لم يَخْلُ من افسادتهم قبولاً في قومهم
 ونفعاً يجره اليهم ، وقد قال بعض شعراء بكر بن وائل :
 أَلهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يفاخرون بها مذ كان اولهم يا الرجال لشعر غير مستوم
 ووقع في كلام المؤلف لفظ مَكْسِبَة وهو بفتح الميم وكسر السين

اسم مصدر لمعنى الكسب اي سبب كسب . ووقع في كلامه لفظ الشوق وهو بضم السين، وفتح الواو، من صرد اسم جمع سوقة والسوقية اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهي العامة من الناس . والعلامة بكسر العين وسكون اللام العلامة المنون ، اهل الرفعة والخصوصية . (وما يدل على ان الشراشرف من النظم ان الاعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقفا فيه دون النظم يكشف ذلك ان معجزات الانبياء عليهم السلام في اوقاتهم كانت من جنس ما كانت امهم يولعون به في حينهم ويغلب على طباقهم ، وباشرف ذلك الجنس . على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لانها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وباشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام ، لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته ، وهي احياء الموتى ، من ذلك الجنس وباشرفه . فاما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وباشرفه ، فتحدثوا بالقرآن كلاماً مشهوراً لا شعراً منظوماً ؛ وقد قال الله عز وجل في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم :

«وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وقال ايضاً : «والشعراء يتبعهم الغاؤون» ، الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون .»

ولما كان الامر على ما بيناه وجب ان يكون النثر ارفع شأنًا واعلى سمكاً وبناء من النظم وان يكون مزاوله كذلك .

اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوئليها)

ساق المؤلف هذا الكلام كتكلمة للسبب الثاني في تفضيل
النثر على الشعر، وكان حقه ان يجعل سبباً ثالثاً. فقد عده ابن الاثير في
الجامع الكبير سبباً مستقلاً . وهو ايضاً راجع الى التفاضل بين
الصناعتين خارج عن مقام النقد ، وحاصل بهذا ان فضل النثر على
الشعر ثبت له من عهد الجاهلية وعززت الاسلام .

وفي نسخة الاستانة بعد قوله «على ان النثر اشرف من النظم»
زيادة: « وان النظم اقصر درجة من النثر » ، وهي مستغنى عنها .

(واما السبب في قلة المترسلين و كثرة المفلقين وعزاً من
جمع بين النوعين مبرزاً فيهما، فهو ان مبنى الترسل على ان يكون
واضح المنهج سهل المعنى يمتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه
على حقائقه وظواهره على بواطنه ؛ اذ كان مورده على اسماع
مفتقة من خاصي وعامي ، وافهام مختلفة من ذكي وغبي فتمى كان
متسهلاً متساوياً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت الأذان في تلقيه ،
والأفهام في درايته والالسن في روايته فيسمح شارده اذا
استدعي، ويتعجل وافده اذا استدني ، وإن تطاول أنفاس
فصوله وتباعد اطراف جزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك لانه بني على اوزان
مقدرة، وحدود مقسمة، وآواف يساق ما قبلها اليها - مهياًة،
وعلى ان يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره الا ان يكون

مضمناً باخيه وهو عيب فيه - فلما كان مداه لا يمتد باكثر من مقدار عروضه وضربه، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب ان يكون الفضل في اكثر الاحوال في المعنى، وان يبلغ الشاعر في تاليفه والاخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حدّاً يصير المدرك له والمشرف عليه كالفنّان بذخيرة اغتمها، والظافر بدفينة استخرجها؛ وفي مثل ذلك يحسن انحاء الاثر وتباطؤ المطلوب على المنتظر، فكل ما يحمد في الترسل ويختار، يذم في الشعر ويرفض.

فلما اختلف المبنيان كما بينا، وكان المتولي لكل واحد منهما يختار ابعد الغايات لنفسه فيه، اختلفت فيها الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما).

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الاسلام، وجمع هنا الجواب عن مسألتين: مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلقين من الشعراء، ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر.

وابتداً بجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر، على عكس الترتيب الطبيعي في مسامرة كلام السائل، لأن في الجواب عنها ما يكون تأصيلاً للجواب عن المسألة الاولى بقوله: «فهو ان مبنى الترسل، الى قوله: اولى واخص». وحاصل السبب

ان مقتضى الصناعتين مختلف، فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لان العناية باحد الاسلوبين واجادته تباعد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به، والانصراف والتوجه الى احدى الصناعتين، حتى تستولي على الذهن، هو امر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها. وقوله: فيسمح شارده اذا استدعي . وَيَتَعَجَّلُ وافده اذا استدني « بفتح حرف المضارعة في يسمح ويتعجل مبنين الى الفاعل، واراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع، وبالوافد المعنى السهل؛ استعار الشارد للنادر لشبهه في قلة حضوره . واستعار الوافد للسهل لانه كالذي يأتي بدون استدعاء، واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر وللتمكن من تقويمه في الذهن فعلي الاستدعاء والسماح، واستعار لابرز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلي التعجل والاستدناء، لأن الوافد يستدني للإكرام والقرى .

وقوله : وان تناول انفاسُ فصوله الخ .. مبالغة في احوال تأثير الترسل على الاسماع والافهام، اي تساوت الافهام في درايته والالسن في روايته في جميع الاحوال حتى في حالة طول فقراته . و بعد ما بين اوائل قرائنه واواخرها فالواو في كلامه واو الحال، وحرف ان وصلية مثل لو الوصلية كما هي في قول عمرو بن معديكرب:

ليس الجمال بمنزرة فاعلم وإن رُدِّيتَ برداً
 وصارَ فصوله وحزونه وسهولة عائدة إلى الترسُّل . واثبت للفصول
 انفاً على طريقة الحجاز العقلي ، وإنما هي انفاً للكاتب والنالي
 لذلك الترسُّل . وجعل للترسُّل حزوناً وسهولاً استعارة لاوائل
 الترسُّل واواخره أوائل كل فقرة منه واواخرها ، لأن أول الشيء
 يشبه أعلى الأكمة وآخره يشبه السهل من الجبل . وعطف (وعزَّز)
 على (قلة وكثرة) عطف الفعل على الاسم التشبيه بالفعل وهو
 كثير . وجرّد (تطاول) من تاء التانيث لأن فاعله وهو انفاً
 جمع تكسير فيجوز فيه حذف الناء .

وقول المؤلف : « إلا ان يكون مضمناً باخيه وهو عيب فيه »
 اشار إلى ما يسمى عند علماء العروض بالتضمن وهو ان يتوقف
 فهم معنى البيت على معرفة الذي بعده ، وهو عيب في الشعر العربي ،
 ومع ذلك وقع في شعر فحول الشعراء . ووقع للتابعة في عدة قصائد
 كقوله :

فهم درعي التي استلّمت نبيها وهم اصحاب يوم عكاظ إني
 شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مي
 وقوله (وكل بيت يتقاضا بالاتحاد) وقع في نسخة الاستانة
 مخالفة بالترتيب وبالاعجام فكُتِبَ « يتقاضاه كل بيت بالاتحاد »

بمقدّم يتقاضاء وبالخاء والذال المعجمتين والمعنى على نسختي الممهلّتين
ان كل بيت يطالب الشاعر بان يجعله متحداً مع الابيات اقارنه،
ففي ذلك التقاضي زيادة كلفة للشاعر وعمل ليناسب بين البيت
واخيه ، كما قال رؤبة (قد قلت لو كان له قران) فتأمل .

واما الاتخاذ بالمعجمين فلا يظهر له معنى ، لأن الشاعر اذا نظم
البيت فقد اتخذ ، فهذا تحصيل حاصل ؛ وقوله «وفي مثل ذلك يحسن
انحاء الأثر . وتباطوء المطلوب على المنتظر » انحاء الأثر هو زوال
آثار السائرين في الطريق ، وهو كناية عن كثرة الترداد على الطريق
حتى لا تبين فيه آثار أقدم معينة ، وقد جعله تمثيلاً لحالة وفرة
المحاولين لا تتراخ المعاني وتهذبها وانراغها في قوالب النظم بحالة
كثرة السائرين في جادة الطريق حتى تصير الطريق صلبة لا تظهر
فيها آثار اقدام السائرين ولا سدايك اركاب . كما قال : يبيض الطريق ،
والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطلب وعذولة
الظفر بالغاية .

وقوله « وتباطوء المطلوب على المنتظر » اي هذا تباطوء حسن
غير مذموم ، وانتظار لذيذ لأجل ما يجده المنتظر في انشاء انتظاره من
تدريج نوال غير نفيس وظهور بشار اقترابه كما قال ابو الطيب :
ومن الظير بلاء سيديك عنى أسرع السحب في المسير الجبام

(يكشف ذلك ان الرجز وان خالف القصيد مخالفة قورية
ترجع الى تقطيع شأو اللفظ فيه وتراحم السجع عليه قل عدد
الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الاحاطة بهما . فاذا كان الرجز
والقصيد مع انها من واد واحد - افضت الحال بمعاطيهما الى ما
قلت على خلاف يسير بينهما ، فالنثر والنظم - وهما في طرفين ضدين ،
وعلى حالتين متباينتين - اولى واخص) كان العرب قد خصوا
الرجز باغراض غير مهمة وهي الحذاء والتمتع على المياد وترقيص
الامهات اطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالة عجلة وكيفا اتفق ،
فذلك لم يكن يعبا به الشعراء ، وربما ارتجز البطل عند الخروج الى
صف المقاتلة يرهب الناس بما يذكره من بأسه ؛ الى ان ظهر منهم
الرجاز المجيدون مثل العجاج وابنه رؤبة وابنه عقبة واني النجم ،
وكانوا كلهم من اهل البداوة فبقي الرجز شعار الاديب البدوي ولم
يبرز فيه اهل الحضرة ، وقد عد من مقدرة بشار بن برد انه ارتجز
باراجيز فق فيها مشاهير الرجاز مثل ارجوزته الطويلة :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدث كيف عدت بعدي

وقصته فيها مع عقبة ابن رؤبة مذكورة في ترجمة بشار .

(واما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة اولئك

وخمول هؤلاء) هذا جواب عن المسألة الاولى في كلام السائل ،

واراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما يبينه قوله « وكثرة الشعراء »

وقوله « منها ان المترسل محتاج الخ » ويبينه ايضاً انه موضوع
 البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر الشعراء
 عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » وقد تقدم
 وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة
 البلغاء الخ . » وكان اللام في البلغاء للعهد ، لانه لما ذكر في صدر
 المقدمة رغبة السائل الكشف عما تحير فيه قال هنالك « وقلت ايضاً
 اتنى ان اعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء »
 وسبب ذلك كله ان اغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة
 فصار الترسل مقارناً في الازهان بصناعة الكتاب التي لها نباهة في
 الدولة ، ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الاسلام اكتفاء بما ذكره
 من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بان الكتابة غطت على
 الخطابة وغمرتها بين اهل الدولة . **والنباهة** . مصدر نبه بضم
 الباء ويجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر . **والخمول**
 ضد النباهة ، ولم يصرح بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لان
 مصدر فعل المفتوح العين اللزوم يكون على وزن فُعول بضم الفاء
 باطراد إلا في افعال الامتناع وافعال الاضطراب وافعال الادواء .
 (فهو ان المترسل محتاج الى مراعاة امور كثيرة ان اهملها
 او اهل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللاقة عليه)

يبين كلام المؤلف هنا كلام صدر عن ابن الاثير في النصل الثاني من مقدمة المثل السائر اذ قال « وقد قيل : ينبغي للكتاب ان يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان النقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له ان ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفقر اليه من الخواص في كل فن .

وذكر ابن الاثير ان فن الكتابة ينقسم الى سبعة انواع من الآلات . هي علوم العربية . وعلم اللغة وامثال العرب . والاطلاع على تأليف من تقدمه من ارباب الصناعة المنظومة والمنشورة . ومعرفة الاحكام السلطانية . وحفظ القرآن . وحفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة من النبي صلى الله عليه وسلم . وقال القلقشندي في صبح الاعشى « ان كتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فألف كتابه صبح الاعشى في كتابسة الانشاء في عشرين جزءا . وقال^(١) : « واعلم ان كتب الانشاء وان كان يحتاج الى التعلق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الانشاء التي يستمد منها كاللغة والنحو والبلاغة ، ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة فإنه

(١) صفحة ١٤٦ جزء ١ .

يحتاج الى الالفاظ الدائرة بين اهل كل علم ، والى معرفة المشهورين من اهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه ، بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفلى الناس لكتابة امور هزلية الخ » وهذا الكلام تقييد لا طلاق كلام ابن الاثير .

واقول ان الكتاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مرتبتهم، وهم الذين منهم تختار الوزراء دون اصناف آخرين من الكتاب، مثل القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم، وهم مراتب وشروطهم كذلك، وهي منحصرة فيما به اجادة عملهم . (١)

(منها تبين مقادير من يكتب عنه واليه ، حتى لا يرفع وضعياً - ومنها وزن الالفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقاً بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها - ومنها ان يعرف احوال الزمان وعوارض الحدان فيتصرف معها على مقاديرها في النقص والابرام ، والبسط والانقباض - ومنها ان يعلم اوقات الاسباب والنطويل والايجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة اقدار القصائد الطويلة ، ويتفق ايضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة - ومنها ان يعرف من احكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ، ولا يعدل

(١) انظر صبح الاعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

فيا يخطط عن المحجة ، فهو انما يتوسل في عهد الولاة والقضاة ،
وتأكيد البيعة والايان ، وعمارة البلدان ، واصلاح فساد ،
وتحريض على جهاد ، وسد ثغور ، ورتق فتوق ، واحتجاج
على فئة او مجادلة لملة ، او دعاء الى الفة او نهى عن فرقة ، او
تهنئة بعطية ، او تعزية برزية او ما شاكل ذلك من جلائل
الخطوب وعظام الشؤون التي يحتاج فيها الى ادوات كثيرة
ومعرفة ممتنة .

اشار الى اشد ما يحتاج اليه كاتب الانشاء وهو اهم ما ذكره
صاحب صبح الاعشي المتقدم آنفاً، ومرجع ذلك كله الى ان يكون
ما يصدر عن الكاتب مصادفاً الصواب ، سالماً من ان يرد عليه
طعن او تخطئة، لأنه ان عرّضت الدولة الى الطعن او التخطئة فيما
يصدر عنه زالت حرمة السلطان او نسب الى الجور . واراد باحوال
الزمان احوال الناس في زمانه ليخاطبهم بما يناسب عقولهم ولا
يحملهم على ما يعدونه ارهاقاً واعنائاً .

والمراد بالنقض ابطال عمل عماله الناس او تغيير سيرة او منعهم مما
يريدونه. والمراد بالابرام الالزام بفعل، والحمل على سيرة خاصة؛
شبه الالزام بقتل الحبل وهو الابرام وشبهه الابطال بحل الحبل
المفتول ، قال تعالى « كالتي نقضت غزلها » .

والبسطة هو التوسعة في شيء واطهار الرضا عن حـال .

والاقتباسُ التضييق في التصرف واظهار الكراهية من شيء .
والاسباب اكثر الكلام، اي الاكثر في عبارات الرسالة، واراد
به الأطناب لأنه قابله بالإيجاز وهما وصفان للتراكيب كما هو معلوم في
علم المعاني . والتطويل تطويل الرسالة باكثر اغراض او
بالاستطراد ونحوه، ويقابله التخفيف، وهو الاقتصار على اقل ما يلزم
في الغرض . وقول المؤلف « فهو انما يترسال الخ » تفريع على ما
ذكره من قوله « فهو ان المترسل محتاج الى امور كثيرة الخ » اتى
به كالدليل على ذلك الاحتياج، ولذلك ختمه بقوله « التي يحتاج
فيها الى ادوات كثيرة ومعرفة مفتنة » .

(فلما كان الامر على هذا صار وجوه المضطلمين بجودة النثر اعز
وعدهم انزر، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأئهم منزلة
وناستها فاخطارهم عالية، بحسب علو صناعتهم ومعاهد رئاستهم
وشدة الفاقة الى كفايتهم) جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب
ايضاً في رفعة شأنهم، وقد يكون للسبب الواحد مسببان فاكثروا حاجة
السلاطين والأمراء والسادة الى الكتاب معلومة، وفي تضاعيف شواهد
التاريخ منها كثير . وقصة غناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن
مخدومه علي بن عبد الله بن عباس في صدّه كيد السفاح عنه بما
كتبه له من صيغة الأمان الذي رضي السفاح ببذله لعمه علي بن

عبدالله بن عباس مذكورة في ترجمة ابن المقفع، و يقال هي كانت
سبب نكبة ابن المقفع . و ذكر الحريري في المقامة ٢٢ بعض مزايا
الكتاب اهل الإنشاء، و بعض وجوه الحاجة اليهم فقال « والمنشى،
جبهة الأخبار . و حقيبة الأسرار . و نجي العضاء . و كبير الندماء .
و قلمه لسان الدولة . و فارس الجولة . و لقمان الحكمة . و كرجان
الهمة . و هو البشير النذير . و الشفيح السفير . به تستخلص الصياحي .
و تملك النواصي . و يقتاد العاصي . و يستدنى القاصي . و صاحبه بري،
من التبعات . امن كيد السعاة » .

و في صبح الأعشى « من كلام ابي جعفر النضل بن احمد :
« للكتاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة . و اليهم ألقوا الأعنة
و الأزيمة . و بهم اعصموا في النازلة و النكبة . و عليهم اتكلوا في
الأهل و الولد . و الذخائر و العمد . و ولاية العهد . و تدبير الملك و قراع
الأعداء . و توفير الفيء . و حياطة الخريم . و حفظ الأسرار . و ترتيب
المراتب و نظم الحروب » .

(و الشعراء انما اغراضهم التي يسددون نحوها . و غاياتهم التي
ينزعون اليها . و صف الديار والآثار . و الحنين الى المعاهد
و الأوطان . و التشبيب بالنساء و التلطيف في الاجتداء و التفنن في
المديح و الهجاء، و المبالغة في التشبيه و الاوصاف فاذا كان
كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . و اذ قد

انينا بما اردنا، ووفينا بما وعدنا، فاننا نشتغل بما هو القصد من شرح
الاختيار، والله الموفق للصواب، والصلاة والسلام على رسوله وآله
الاخيار (أشار الى ان اغراض الشعراء وان كانت رائقة للنفوس
ومرغوبة عند اهل الذوق السليم فان المكتاب المرتبة المهيبة والآثار
العجيبة .



انتهى طبع هذا الكتاب .
في رجب ١٣٩٨ / جويلية ١٩٧٨
بمطبعة
فن الرسم الصناعي
— تونس —



عدد الناشر : ٧٨ — ٢٨ — ١٠٠